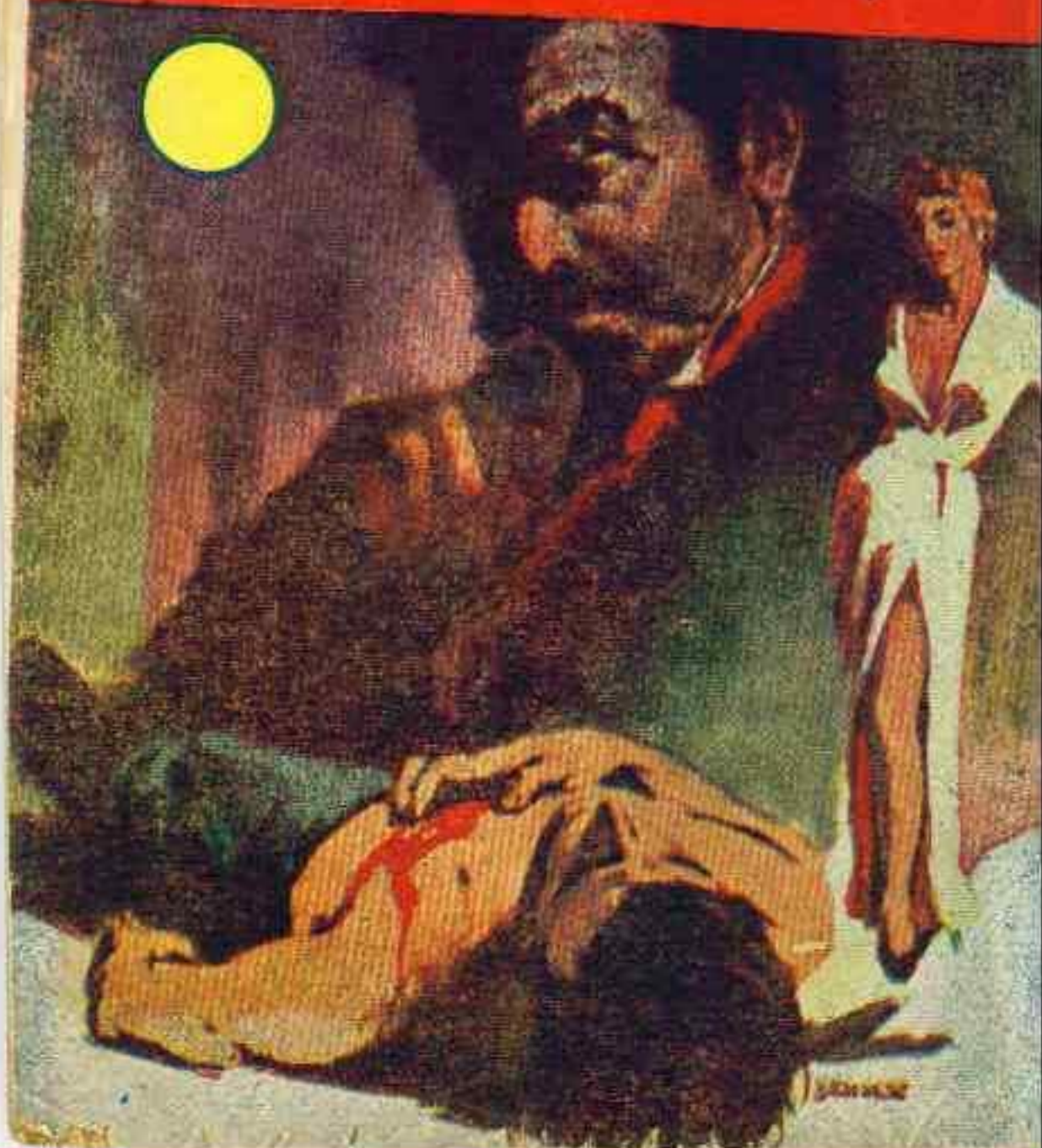


مفامرات
اُرْسِينِے لَوْبِينِے

صامیة الملائین



الفصل الأول

المطرب والمريض

اقترب الشرطي ببطء من الرجل الطويل القامة الذي وقف على قارعة الطريق ، وراح يفتي نجاة بصوت مسعور ، مترنما بانثودة لا هي بالانجليزية ، ولا هي بالفرنسية .
وما زال الشرطي يقترب حتى أصبح على قيد خطوة من هذا المطرب للمجيب ، وعندئذ تكلم بغنة بلهجة رزينة هي لهجة الرجل الذي يعرف كيف يمثل القانون في شارع مقفر في الساعة الثانية صباحا .
قال :

- كفى ، كفى ضوضاء يا هذا .
فصمت الرجل في الحال ، وتحول نحو الشرطي ، وارتسمت على شفثيه ابتسامة خلافة .

قال في أدب :

- طاب مساؤك ، أو طاب صباحك يا سيدي .

فسأله ممثل القانون :

- هل تتصور نفسك على خشبة المسرح ؟

فاجابه الرجل وهو لا يزال يتنسم :

- بل كنت اتصور نفسي راكبا جملا اشق به جوف الصحراء .

فصعد الشرطي بنظرة ارتياب .

ولسكن لم يسكن في مظهر الرجل ما يريب .

كان طويل القامة رشيق . . لهندام . . لا نذل حر كاته أو تقاطيع وجهه
على انه أسرف في الشراب .

رفع ممثل القانون رأسه بحدة وقال :

- ولسكن ليس من المسموح لك ان تنهق في الشوارع هكذا في

الساعة الثانية صباحا .

فاجابه الرجل بصوت حزين :

- أنا لم أنهق ، لقد كنت أغنى .

فقال الشرطي باصرار :

- قلت لك انك كنت تنهق .

فهز الرجل رأسه في أسف ، وأخرج من جيبه علبة تبغ تبطن

أكثر مما تظهر ، وتداول منها لفافة « بريشة » قدمها الى ممثل القانون ووضع

بين شفثيه لفافة بريشة اخرى من النوع الذي قدمه للشرطي ، وقال :

- مهما يسكن من امر فانك شخصيا لا يسعك الا أن تنهق طربا

حتى رأيت مريضا يدخل أحده المنازل محمولا على الاعناق في حين انه

ليس مريضا .

فقطب ممثل القانون حاجبيه ، وشمغم :

- اذا صح هذا كان وراء الأكمة ما وراءها .

فقال الرجل :

- وهذا ما خطر لي ، ولما كنت شغوقا باستطلاع ما وراء الآكام ،

في لم أتمالك من ان اغنى ، او - على حد تبيرك - من ان انهق

طربا حين رأيت هذا المريض ، الذي ليس مريضا .
فنظر اليه الشرطي بارتباب مرة أخرى ثم سأله في رفق :
هل انت واثق من انك لم تفرط في الشرب ؟

فأجابه الرجل وهو يتهم :
- اذا فرضنا انني اسرفت في الشراب والى متى مع ذلك احسب
حساب الطواريء ، ولهذا ارجو ان تلاحظ بانني سادخل المنزل الذي
جئت اليه المريض وأنا سليم معافى ، محتفظ بكامل قواي العقلية والجسدية .
وليس في نيتي أن امسك باختباري في هذا المنزل أكثر من نصف
ساعة ، فإذا ما انقضى الساعة الثالثة ولم اخرج سايبا معافى كما دخلت ،
فلك أن تقصد الى هذا المنزل وتطالب اصحابه بجثتي ، الى اللقاء ايها
العزير .

وابتسم للشرطي ابتسامة ساحرة ، ومضى في سبيله وهو يفتنى ،
ويلوح بعصاه في يده .

* * *

ومر الرجل في طريقه بشاب كثيب السمحة . رث الثياب يحمل تحت
ابطه رزمة كبيرة من الطبقات الأولى لجراثيم يوم الأحد ، والى
لم يمره انبهاها ، ولم يحاول بانسح المصحف من ناحيته ان يعرض على
بضاعته .

مضى الرجل في سبيله اذن وهو يتزم ويلوح بعصاه في يده ، وانه
الى منزل في الجانب الآخر من الشارع ووقف أمامه وكف في ذاك

الوقت عن الغناء .

كان هناك سلم يتألف من ثلاث درجات ، يؤدي الى باب المنزل ،
فصعد الرجل هذه الدرجات ببطء ، وحمل في لوجه نحاسية منبثة
بالجدار ، واستطاع ان يقرأ فيها اسم صاحب المنزل « هنريخ دوسل »

• • •

وبحث الرجل عن جرس الباب ولما وجدته ، مد يده ليضغط عليه .
وقبل ان يصل أصبعه الى زر الجرس ، دوى فوق رأسه صوت
تشم زجاج وتناثرت قطع الزجاج حوله .
وفي ذات الوقت ، ردد سكون الليل صرخة ألم دائرية ، لم يكن هناك شك
في انها اطلقت من فم رجل يتألم .

وفي هذه اللحظة كذلك ، سمع الرجل وراه صوتا هادئا يسأله :
- هل هذا هو المنزل الذي في نيتك أن تدخله ؟
فنظر الرجل خلفه ورأى الشرطي .
أجابه في هدوء والابتسامة لا تفارق شفثيه :

- نعم ، هذا هو المنزل ، وبهذه المناسبة ، دعني اهنتك على خفة
حركتك ، فانت أول شرطي استطاع أن يتعقبني دون أن اصعب موسيقى
حذائه الثقيل .

ودق الجرس ففتح الباب على الأثر ، وأطل منه رجل قصير القامة
مليء الجسم . اصلمع الرأس .

وكان الشرطي لا يزال في مكانه فسأل :

- ماذا يحدث في هذا المنزل ؟
فاجابه الرجل الأصم بهدوء تام :

- لانيء ياسيدي .

- وهذا الأصراخ ، وتحطيم الزجاج .. .

- يوجد لدينا مريض مصاب في عقله ، وهو مريض في بعض

الأحيان لنوبات عنيفة ، ولكننا ننمي به اشد العناية .

فقال الرجل الطويل القامة وهو يتسم ويلوح بعصاه :

- هذا حسن ، لقد تلقيت رسالتك التليفونية بامستر دوسل ،

فجئت على الفور .

ثم نظر الى الشرطي واستأورد :

- اني الطبيب المكلف بمعالجة المريض ، فمكن مطمئنا ياسيدي

الشرطي ، سوف اريحك من صباحه وصحبه .

قال ذلك ودخل المنزل بكل هدوء وبساطة ، قبل ان يتمكن

الشرطي او صاحب المنزل من أن ينطقا بكلمة .

قال :

- طاب مساؤك ياسيدي الشرطي .

واغلق الباب .

وما كاد يتفرد بصاحب المنزل ، حتى سأله هذا الأخير وهو يصعده

بعبئيه في حذر وارتباب :

- هل لي أن اسألك عن معنى هذا ؟ انني لم اتصل بك تليفونيا

ولم يسبق لي التشراف بمرفتك .

فأجاب الرجل الطويل القامة :

- لقد كان في نيتي دخول هذا المنزل على كل حال لمقابلتك . .

والتحدث اليك ، ولكنني لم أحسب حساب الزجاج الذي تحطم والصرخة

التي مزقت سكون الليل . . ومهما يكن من أمر فانتى دخلت المنزل . .

وانتهت المشكلة .

فقال هنريخ دوسل بلهجة المحقق الغاضب :

- تريد مقابلي والتحدث إلى ؟ أية خدمة تستطيع أداءها من

أجلك ؟ .

فأجاب الرجل الطويل القامة :

- الأمر على العكس . . فالمسألة هي . . أية خدمة تستطيع أنا

ان أؤديها من أجلك ؟

سل ما سألت تجدني طوع أمرك ورهن اشارتك . . ليس عليك

إلا أن تطلب . . فاذا قلت لي (جئني بالقمر) مدت يدي لجنتك به .

فقطب دوسل حاجبيه وقال بخشونة :

- هل تعرف كيف تخرج كما دخلت ؟

فهز الرجل الطويل القامة رأسه في أسف وأجاب :

- هذا هو الشيء الذي لا أعرفه . . فانتى قد ادخل المنازل من

ابوابها . . ولكنني اخرج عادة من نوافذها .

- اذن سأضطر في هذه الحالة ان ألتجأ إلى القوة .

وتحول كأنما ليدعو احد الخدم او احد الأعوان . فقال محدته
باطف :
- صبرا لحظة يا مستر دوسل . . انى أريد أن اهمس فى اذنك كلمة
تهمك . .
ولكن دوسل كان قد فتح فمه . وهم بأن يصيح منادياً احد اعوانه
غير ان الزائر لم يمهله . . بل وثب عليه بخفة النمر . . ورضع يده
على فمه قبل ان يصيح .
وبدلا من ان يهمس فى اذنه للكلمة التى اشار اليها . . أهوى هو
بقبضته على فك دوسل . . فسقط هذا الأخير فاقد الرشدا ككثرة
من الخشب .

قال الزائر مقلداً صوت دوسل :

- حسنا . . تعالى معى الى مكنتى .

وصمت لحظة ثم قال بصوته الطبيعى :

- شكرا لك يا مستر دوسل .

وأحاط جسم دوسل بساعده . . ورفعه بسرعة . . والتقى به على
كتفه وسار بضع خطوات . . ثم دلف على أول باب صادفه .
وجده نفسه فى غرفة صغيرة . . ولكنه لم يضيع الوقت الثمين
بفحص محتويات تلك الغرفة . . بل التى بحمله الثقيل على الأرض . .
ثم خرج . . واغلق الباب ووضع المفتاح بجيبه .
ولاشك ان الحظ كان يخالفه . . لأن احداً من أهل المنزل

يفطن إلى شىء مما حدث .

وصعد الرجل السلم وثباً وبخفة . . كأنه شبح من الأشباح .
كانت الغرفة التى تحطم زجاجها فى الطابق الأول من المنزل . . وكان
موقعها فوقى الباب الخارجى مباشرة . . فلم يجد الرجل صعوبة فى
الاهتداء اليها .

وقف بيابها . . وانصت . . ولم يسمع حركة أو صوتاً . . ففتح
الباب بخفة . . ودخل بنشاط .

ولكنه وجد الغرفة خالية . . فغمغم قائلاً :

- يا للشيطان .

ووقف مفكراً لحظة . . ثم انبسطت اسارير وجهه . . وقال لنفسه :

- ولكن هذا طبيعى . . نعم . . من الطبيعى أن تكون الغرفة

خالية ، إذ لو أصر الشرطى على الدخول لاستطلاع أسباب الصياح
وتشمم الزجاج . . لجاء به القوم إلى هنا ، وهم لذلك قد حملوا المريض
المزعوم إلى غرفة أخرى ، يحتمل أن تكون فى الطابق الثانى .

وخرج من الغرفة بأسرع من لمح البصر ، وصعد السلم وثباً إلى
الطابق الثانى .

ولكنه لم يكده يصل إلى قمة السلم ، حتى خرج من إحدى الغرف
رجل بشع الخلفية ، تدل سمخته وتقاطيع وجهه على أنه أجنبي .

سأله الزائر فى غير تردد :

- هل كل شىء على مايرام ؟

فأجابه الرجل دون أن يمي :

نعم . .

ثم فطن الرجل على الأثر إلى أنه سمع صوتا غير مألوف ، وأن هذا الصوت يختلف كثيرا عن صوت هنريخ دوسل .

فطن إلى ذلك واسكن بعد انقضاء ثلاث أو أربع ثوان ، فرفع رأسه ، ونظر إلى المنكلم . .

بيد أنه فعل ذلك بعد فوات الوقت ، وبعد أن أصبح منه الزائر على مسافة خطوة واحدة .

قال الزائر وهو يلوح بمخنجر في يده :

- هذا حسن ، أغضض عيذك ، وأرجع القهقري إلى الغرفة التي

خرجت منها ، فيذهب كل شئ على مايرام .

قال ذلك وسدد الخنجر إلى صدر الرجل ، وقرن هذه الحركة بنظرة تهديد كان لها اثرها السريع ، فقد انكمش الرجل ، وتراجع بالفريرة . وتبعه الزائر عن كئيب ، حتى دخل الغرفة في أثره ، وعندئذ أغلق الباب ، وأطبق على عنق الرجل فجأة . .

وما هي إلا لحظة حتى كان الزائر ينهض واقفا بعد أن ترك الرجل في غيبوبة هادئة ، لا يزعجها سوى ألم مزعج في الفك الأسفل . .

وأجال الزائر البصر حوله ، فرأى المريض ماتي على الفراش وهو موثق اليدين والقدمين ، كقوم الغم .

كان المريض رجلا متقدما في السن ، قد تدت لحيته البيضاء فوق

صدره ، واختفت عيناه وراء عوينات سوداء كبيرة ، وتوارت يدها في قفاز من الجلد الأسود .

انقض عليه الزائر وحمله على كتفه كما يحمل طفلا ، وشرع يهبط به السلم .

ولمك ما كاد يصل إلى الطابق الأول ، حتى سمع ضجعة منبعثة من أسفل ، فاشربأ بعنفقة من فوق حاجز السلم ، ورأى رجلا يفتح باب الغرفة التي وضع بها هنريخ دوسل . .

غير أن ذلك لم يثنه عن مواصلة الفرار ، فاستمر يهبط السلم بهدوء ولما وضع قدمه على آخر درجات السلم ، رأى مسدسين مصوبين إليه أحدهما في يد الرجل الذي فتح الباب ، والثاني في يد هنريخ دوسل .

قال الزائر ببساطة :

- لقد انتصرت على يادوسل . .

- نعم ، أنك انتصرت على في آخر لحظة ، فدعنا نتفاهم ، ولكن لاصح لي أولا بأن أدخن لفافة تبغ . .

وأخرج علبة التبغ من جيبيه ، وتناول منها لفافة (غير بريئة) . . وأشعلها . واستطرد :

- من الأفضل أن تتفاهم ياعزيزي دوسل ، فخدمتي ماذا في نيتك أن تصنع بي ؟

هل في نيتك أن تدفع بي إلى رجال البوليس ؟ إذا فعلت ذلك تعين عليك أن تدلي بكثير من الايضاحات التي ربما يهتك أن تسكنها عن

لقد سميت الشرطى فى الخارج حين قلت لاني طبيب ، واني جئت
تلبية لدعوتك التليفونية ، وسوف يسألك الشرطى حتما لماذا سكت على
دعواى ، ولم تكذبني فى الحال .

يضاف إلى ذلك هذا المريض السكهل . . .

وأشار بأصبعه إلى الشيخ الممدد على الأرض ، وكان الشيخ يهز
رأسه ويحاول أن يقول شيئا ، ولكنه لا يستطيع بسبب السكامة التى
تجس أنفاسه . . .

فاستطرد الزائر :

- إن أسوأ النوبات العصبية أو الجنونية لا تستلزم شد وثاق المريض
وتسكينه بهذه الطريقة .

فقال دوسل ببطء :

- كلا يا صديقى ، إننى لن أدفع بك إلى رجال البواليس .

فقال الزائر وهو يرسل من فمه سحابة كثيفة من الدخان :

- ولستك لا تستطيع الاحتفاظ فى هنا طويلا ، فقد جرى لى مع
الشرطى حديث طويل قبل أن أدخل منزلك ، فقلت له إننى لا أنوى
البقاء هنا باختيارى أكثر من نصف ساعة ، وأكبر ظنى أنه بعد كل ما رأى
وصمع - لا يزال قابعا أمام المنزل ابرق ما يحدث .

فتحول دوسل إلى خادمه وقال :

- إذهب إلى إحدى نوافذ الطابق الأول بالويجى ، وانظر إذا كان

الشرطى لا يزال امام الباب .

فأطاع الخادم ، وقال الزائر وهو يدخل فى هدوء :

- إن الموقف دقيق إلى حد ما بالنسبة اليك يا عزيزى هنريخ .

لاني معروف جيدا من رجال البواليس ، وإذا ذكرت لك اسمى
فقد تعرفنى بدورك .

أنا أدعى أرسين لوبين .

وهنا رفع دوسل رأسه فجأة ، ونظر إلى محدته كأنه لا يصدق
أذنيه . . .

واستطرد لوبين وهو يتهم :

- لقد كنت واقفا من أنك تعرفنى . ومهما يكن من أمر فانك

تستطيع أن تعرف المزيد عنى من صديقك الأرشيدوق رودلف
والدكتور رايت ماريوس .

فازدادت دهشة دوسل . ونظر إلى لوبين بمزيج من الذعر والقلق .

وماد الخادم فى هذه اللحظ ، وأنها سيده بان الشرطى لا يزال

أمام المنزل ، وأنه يتحدث إلى شاب من باعة الصحف .

وهنا غص دوسل على شفته ، وقال لوبين :

- يخيل لى أنك شديد الانزعاج يا عزيزى دوسل ، كان يجب أن

تلتقى درسا فى رباطة الجأش من صديقك اوسيدك الأرشيدوق رودلف
فانه رجل لا تزعه العواصف .

قال لوبين ذلك ببطء ، وبصوت خافت ، وهو لا يرفع عينيه عن

لغافة التبغ التي بين اصابعه .

ثم استطرد فجأة ، وهو يبتسم :

- دعني اعرض عليك إحدى الألعاب السحرية ، انظر .

والتي يبقية لغافة التبغ علي الأرض وانخفض عينيه .

اما دوسل وخادمه ، فانهما حملقا إلى لغافة التبغ المشتعلة امامهما .

وجفأة مما صوتا عجيبا كفحيح الأفعى ، ثم انفجرت لغافة التبغ

بصوت خافت ، وانبعث منها وهج حاد ساطع بهر ابصارها واشعرها

كأن شعاعا وهاجا ملتها قد نفذ من عيونهما إلى عقليهما .

ولم يستمر هذا الوهج اكثر من اربع او خمس ثوان وان كان هذا

الفترة القصيرة كان فيها الكفاية .

ولما انطفأ الوهج ، كان المكان قد امتلأ بدخان ابيض كثيف

وقد انتهز لوبين الفرصة منذ بدايتها ، فحمل الشيخ المريض ، ووثب

به إلى الباب .

وسمع الرجلان صوته الهازيء وهو يقول :

- هذا النوع من اللغافات التبغ يستعمل بنجاح لاضحائك المدعوين

في الحفلات ، فلا تنس ان تدعوني إلى اول حفلة تضحك فيها مدعويك

بهذه اللغافات ايها العزيز دوسل .

وتجلبط الرجلان في اثره على غير هدى ، ولكن ذلك الوهج

قد اعماهما مؤقتا .

وما كاد لوبين يفتح الباب ، حتى مرت بالقرب من اذنه رسا

انطلقت من مسدس صامت .

وتبعته سحب الدخان إلى الخارج فصاح :

- النار ، النار ، النجدة .

وما وضع قدمه علي ارض الشارع حتى امرع اليه الشرطي فصاح به :

- انقذ الآخرين بحق السماء ، ان النار تلتهم المنزل ، وقد انقذت

هذا المريض ولكن يوجد سواه بالمنزل .

ولم ينتظر الشرطي اكثر من العبارة الأولى ، فاقنحم سحب الدخان

ووقف لوبين يرقبه ويقهقه .

وما هي الا لحظة ، حتى اقبلت سيارة انيقة يقودها الشاب الذي

كان يتظاهر ببيع الصحف ، فوثب اليها لوبين ، وهو يهتف :

- كل شيء على مايرام يا روجر فأسرع قبل ان ينقشع الدخان .

فاطاع روجر كونواي ، واطلق العنان للسيارة . فانطلقت تسابق

الريج .

...

اجتازت السيارة شارع (بارك لين) وانحرفت في شارع (بليك)

وكان لوبين ينظر ينظر وراءه طول الوقت ، ولما لم ير شيئا تشتم منه

رائحة المطاردة ، واطمئن إلى ان الشرطي ودوسل لم يصلوا إلى تفاهم

كسريع فاعتدل في مقعده وقاله محدثا صديقه روجر كونواي :

- لقد نجحت المغامرة يا عزيزي ، وانكنا لم تكن من البطالة

كما تصور ..

لقد - ار كل شيء في البداية على مايرام ، ثم تقدم الموقف فجأة .
ولم يجرد (الدكتور) علاجاً للحالة غير لفافة التبغ المحشوة بالمغنسيوم .
ثم ضحك واستطرد :

- كم أود أن أعرف ماذا قال هنريخ دوسل للشرطي وكيف
سيستطيع التخلص منه .

ووضع يده في جيبه ليخرج علبة التبغ وعدهد وفتح بصره على
الشيخ المريض ، وكان ملقى في قاع السيارة فقال له :

- معذرة يا جدي العزيز ، نحن مضطرون ان نبقى عليك كما أنت
مكسوم القدم . موثوق اليدين والقدمين حتى نصل إلى المنزل ، لأننا لا نريد
الآن أن تزعجنا بصوتك وحركاتك ، ومتى وصلنا إلى المنزل حملنا
وثائقك والطعمناك وممنا قصتك .

فهز الشيخ رأسه بحدة ، ولكن لو بين لم يعبأ به .

« * »

وبعد بضع دقائق ، وقفت السيارة في شارع (بركلي ميوز) امام
المنزل الذي اتخذوه لو بين مقراً له بعد عودته إلى لندن ، وهناك حمل
لو بين الشيخ ودخل به المنزل .

اما روجر كونواي فاته ذهب بالسيارة إلى حظيرتها .

« * »

وقصد لو بين توالى إلى غرفة الاستقبال . وهناك اجلس الشيخ على
احد المقاعد . ثم اسدل الستائر على النوافذ واطاء المصباح الكهربائي

وقال محدثاً الشيخ :
- والآن ، دعنا نسمع قصتك يا جدي العزيز ، سيه ودر وجر بعد لحظة
ويقدم اليك قدحا من الشاي الدافئ ، ولكن ، يا الهي . .
ووقف لو بين امام الشيخ مذهولاً .

ذلك لأنه ما كان يرفع الحكمة عن فم الشيخ حتى انفصلت اللحية
البيضاء الطويلة مع الحكمة .

ولم تدم دهشة لو بين اكثر من لحظة . . ثم انحنى فوق الشيخ . .
ورفع عويناته السوداء وقبضته .

وما كادت القيمة ترتفع حتى انسدت ثروة من الشعر السنجابي
حول وجه أجل فتاة وقع عليها بصر لو بين .

الفصل الثاني
خصوم قدماء

قال روجر وهو يدخل غرفة الاستقبال ، ويهم بخلع ثيابه الرثة :
- ان (فرامل) السيارة قد اختلفت بالو بين ويحجب . .

ولم يتم عبارته . . بل وقف ينظر أمامه وهو مذهول مذهوش . .
رأى لو بين جاثياً بجانب فتاة بارعة الجمال . . وقد راح يعمل خنجره
في وثائقها . .

هتف :

- يا الهي يا لو بين . . ما هذا . .
فأجاب لو بين وهو يتسم :

- مفاجأة ظريفة تختم بها حوادث الليلة ، أليس كذلك ؟
نم نهض واقفاً بعد أن حل وثاق الفتاة وسألها :
كيف حالك يا فتاتي ؟

فاعتذرت الفتاة في جلستها ، ومرت بيدها فوق جبينها ونحمت :
- سأكون في خير حال بعد لحظة ، فقط أشعر بصداع . ولم . . .

فقال لوبين :

- هذا الصداع من تأثير المادة المخدرة التي قدمت إليك ، مم من
تأثير الصدمة التي أصابت رأسك فيما بعد ولكني سأنقذك من هذا
أسرع إلى المطبخ يا روجر واصنع قهحا من الشاي .

فأطاع روجر ، وقصد لوبين إلى دولا ب صغير في أحد الأركان
وتناول قرصاً أحمر اللون من قنينة صغيرة هناك ، ووضع القرص في
قدح ماء واستمر يرقبه حتى ذاب تماماً . ثم قدم القهح إلى الفتاة
وهو يقول :

- انشري محتويات هذا القهح يا فتاتي . فيزول ما بك قبل إنقضاء

خمس دقائق .

فنظرت إليه الفتاة في إرتياب ، واطرقت برأسها وكانها خشية
أن يصيبها من محتويات القهح ما هو أشر من الصداع .

ولكن لوبين ابتسم لها ابتسامة مطمئنة ، فتناولت القهح

وازدردت محتوياته . ثم نحمت :

- شكر ألك .

فقال :

- والآن يحسن بك أن تستمددي على هذا المقعد وان تلمي الهدوء
والسليمة حتى يأتبك صديقي روجر بقهح شاي .

فأطاعت الفتاة وتمددت على المقعد وانحضت عينيها .

وأشعل لوبين لفافة تبغ ، وراح يدخن ، وينظر اليها .

كانت من أجل الفتيات اللاتي وقع عليهن بمره .

راح يتأمل شعرها الشنجاوي البديع ، وانفقا الدقيق ، وشفتيها
الحراروين الرقيقتين ، وجبهتها العريضة التي تدل على الذكاء ونبل الخلق
وخيل إليه أنه رآها قبلا .

نم ، أنه رآها من قبل ، ولكن أين ؟ ومتى ؟

ولمعت عيناه فجأة ، وتناول إحدى المجلات المصورة الموضوع على
مائدة صغيرة في وسط الغرفة .

كان قد رآها ، او على الأصح ، رأى صورتها في تلك المجلة
المصورة . .

أخذ يتصفح المجلة ، وما لبثت عيناه ان استقرتا على الصورة .

كان من المستحيل ان يخطيء أو ينجى ، فقد لغت هذه الصورة
نظره بعد ظهر اليوم السابق ، لغت نظره بجها لها ، اما الآن ، فانه
اقتنع بان الصورة لم تعبر حق التعبير عن جمال صاحبها .

« ٠ »

وعاد روجر ، افتحت الفتاة عينيها ، وانقسمت .

فه أي صوت يدل على الألم .
أما انت ، فانك لم تتأوهي ، ولم يبدر منك أي صوت ، بل ولم
يحاول أحدهم أن يعتذر لك .
فضحك لو بين وقال :

- كانت خطهم بارعة حقا ، وهذه العويشات والقفاز والثياب التي
أخفوا بها حقيقة شخصيتك تدل على انهم دبروا الخطاؤك تدييرا
دقيقا محكما ، وكان من المحتمل أن ينجح تدييرهم الي ابعاد حدود
النجاح ، لولا ذكاه روجر .

وقد انصل بي روجر وابنائي بما حدث ، فرأيت من الضرورى
ان اقبل هنريخ دوسل .

ثم راح يسرد تفاصيل ما حدث منذ دخل منزل دوسل ولم يتمالك
روجر والفتاة من الضحك حين وصف لهما لو بين حياصة الشرطى وهو
يقترجم سحب الدخان لانقاذ أهل المنزل من النيران .
وختم لو بين حديثه بقوله .

- بيد ان الشيء الوحيد الذى لم افهم معناه ، هو الصيحة التي سمعتها
بعد أن تحطم زجاج النافذة .

أنا واننى انها صيحة رجل ، فكيف ..

فقاطعت الفتاة بان قالت ببساطة :

- اننى عضضت يده .

- آه ، اذن فقد ناد اليك رشداك وهم يحاولون شد وثاقتك ،

قالت :
- اننى الآن أحسن حالا .
فقال لو بين :

- سيزول ما بك تماما متى تناوات هذا الشاى الدافى .
وقدم اليها قدح الشاى ، فتناوانه وقالت :
- شكرا لك .

ثم استطرقت على الأثر :
- ولكن حدثنى : كيف اهتديت الي اى ؟

فاجاب لو بين :

- ان القصة طويلة ، ولست يمكن تلخيصها فى بضع كلمات .
كان هناك ما يدعونا الى الاهتمام بأمر هنريخ دوسل صاحب المنزل
الذى وجدتك فيه ، وكان روجر يرقب دوسل ومنزله ، فرأى حول
منتصف الليل سيارة تقف بباب المنزل ، ثم رأى شيخا واقفا تحت
تأثير الخدر يحمل من السيارة الى ..

وهنا قاطعت الفتاة بان قالت محدثة روجر :

- وكيف علمت اننى كنت تحت تأثير مخدر ؟

فاجاب روجر :

- لقد كانت حركاتهم تدل على الرغبة فى الاسراع ، فلما أخرجوا
من السيارة ، ارتطم رأسك بيابها ، وحدث ذلك صوتا مسموعا
فلو كان الشخص الذى ينقلونه مريضا حقا ، بل وكان كذلك مصابا
بالشلل ثم أصيب رأسه بمثل هذه الصدمة ، اذن لتأوه ، أو اقلت ..

فقاومت وعضضت يد الرجل .

فاطرقت برأسها علامة الإيجاب .. وهتف لويين كأنه لا يصدق
أذنيه :

- انت . انت تعضين !!

فابتسمت وأجابت :

- هل تعرف من أنا ؟

- نعم ، ولذا لا أستطيع ان اصدق انك تعرفين المعص والقف
بهذه البراعة .

ثم تناول المجلة واستطرد :

- انى عرفتك من صورتك ، خذ هذه المجلة يا روجر وحاول

ان تعرف فيها صورة الآلة .

وقدم المجلة إلى روجر .

أما الفتاة فانها وضعت قدح الشاي وقالت :

- إننا نزلنا في ضيافة السفارة ، وقد اقام السفير وزوجته

حفلة ساهرة دعيت اليها بطبيعة الحال ، ولكن السهرة كانت

كان الحر شديداً في قاعة الرقص . فلما إنتصفت الساعة الثانية

تسللت إلى غرفتي في دار السفارة ، وكان اول شيء وقع عليه

امام طاولة الزينة في غرفتي ، هو علبة شوكولاته بديعة .

ثم ابتسمت وارتدت :

- ولما كانت الشوكولاته هي احب الأشياء إلى ، فاني لم

طويلاً فيها جاء بتلك العلبة إلى غرفتي ، وخطر لي ان زوجة السفير
وهي تعلم عن ولعي بالشوكولاته - لابد قد جاءتها بها فقضمت
قطعة منها ، ولاحظت في الحال انها صرة المذاق .

ولا اذكر ما حدث لي بعد ذلك ، لأنني عندما افقت ، وجدت

نفسى في ذلك المنزل ، ورأيت ثلاثة رجال يحاولون شد وتناقي .

وانت تعلم الباقي طبعاً .

فابتسم لويين ونظر إلى روجر كونيواي ، فوضع روجر المجلة

وراح يحملي في وجه الفتاة .

وضحكت الفتاة في جدل وقالت :

- إذا كنت إبنة مليونير فذلك لا يعنى من ان اجد الشاي الذي

صنعته شيبا .

فقدم اليها لويين علبة التبغ . وقال وهو يشير باصبعه إلى بعض

التفاصيل :

- هل لك في لفافة تبغ من السوع الذي لا ينفجر ؟

ثم اشعل بدوره لفافة وقال :

- هل فكرت فيمن نصب لك هذا الفخ ؟

- إنني لم اجد متسعاً من الوقت للتفكير .

- فكبرى الآن ، من ذا الذي كان في استطاعته ان يختطفك هكذا

في دار السفارة ؟

فهبزت رأسها وقالت :

مع اثنين من اصدقائي - احدهما روجر هذا - ان العالم في غنى عن
هذا السلاح ، وان النوع البشري سيكون اكثر تطامنا نيتة على مصيره
ومستقبله اذا ابيد هذا الاختراع .

وقد بذلنا جهود الجياورة ، وخطرتنا بكل شيء لاقناع الاستاذ
فارجان باهمال اختراعه ، ولكن الرجل كان مجنوناً ، ففرض ان
يصنع ، وصار لنا ما علينا ان نقتله لانقاذ العالم من شره ، وشر اختراعه
الجهنمي ، ولم يتردد زميلنا الثالث - واسمه نورمان كينت - في قتل
برصاصة من مسدسه .

وهنا كف لوبيين عن الكلام ، وارتسمت على وجهه علامات
الحزن حين تذكر صديقه النبيل نورمان كينت .
اردف بعد لحظة :

- على ان قوما آخرين ينتمون الى دولة اجنبية ، علموا بامر
هذا الاختراع ، وسعوا للاستيلاء عليه ، او على مخترعه .
وقد نشرت الصحف في ذلك الحين انباء بعض المحاولات التي

بها اولئك الجواسيس لاختطاف الاستاذ فارجان ، او سرقة اختراعه
ولكنها لم تكتب في الموضوع باسهاب ، نظرا لان الامر يتصل بعد

ذوى الشخصيات البارزة ، ثم لان جميع المؤامرات التي دبرها اولئك
القوم تسكلت بالفشل ، ولذلك روي كتابنا . . . تجنبنا للمشاكل
على ان هناك بعض حقائق كان ولا يزال مجهولاً أشد المتصلين
المؤامرة ، وفي مقدمتهم الارشيدوق رودلف نفسه .

فقد كان هذا الارشيدوق يعتقد ان ساعده الايمن الدكتور (رايت
ماريوس) انما يعمل في خدمة وطنه ، ويسعى للحصول على ذلك
الاختراع لكي يصنع في ايدي بلاده سلاحا يضمن لها الانتصار في
الحرب المقبلة .

بيد ان الحقيقة التي يجهلها الارشيدوق هي ان الاستيلاء على اختراع
الاستاذ فارجان - وهذا الاختراع هو عبارة عن أشعة قاتلة تبيد
كل شيء كائن حي يقف في طريقها - اقول ان الحقيقة التي يجهلها

الارشيدوق هي ان الاستيلاء على هذا الاختراع كان الفرض الأول
من أحداث حرب اوروية لمصلحة جماعة من الممولين الذين يقرضون
الحكومات المفلسة ، ويتجرون بالاسلحة ، ويغنون الفتن والثورات
وفي طبيعة هؤلاء الممولين الدكتور رايت ماريوس نفسه ، المشهور
بالمليونير الغامض ، أو المليونير الذي لا وطن له ، فهل سمعت عن
هذا الرجل ؟

الطرق الفتاة برأسها . واجابت :
ومن ذا الذي لم يسمع باسمه ؟

فقال لوبيين :

- هذا الرجل هو من اكبر المتآمرين على السلم العالمي ، ومن
الذين يخططون لشبكات من الثورات في العصر الحديث ، وقد كانت مؤامراته
تجرب على اختراع الاستاذ فارجان هي اعظم محاولاته على الاطلاق
قد سخر فيها الارشيدوق رودلف ، واتخذ سلاحا للوصول الى

وقد كان أحد هذين الرجلين ، الدكتور رايت ماريوس ، أو الأرشيدوق رودلف ، هو الذي قتل صديقي الجليم نورمان كينت . وصمت لوبين ، وارتسمت على وجهه مرة أخرى علامات الحزن واحترمت الفتاة وروجر حزنه فلم يعكرا عليه صمته . قال لوبين أخيراً :

— إننا تركنا نورمان كينت مع الأرشيدوق وماريوس في منزلنا في ميدهيد ، وقد مهد لنا نورمان سبيل الإفلات من أيدي رجال الأرشيدوق ، وكنت أظن أنه وفق إلى وسيلة ينقذ بها نفسه ولم أعلم أنه ضحى بنفسه في سبيلنا إلا بعد فوات الوقت ، فلما عدنا إلى منزلنا في (ميدهيد) وجدته جثة هامدة .

وكان بقائي في إنجلترا بعد تلك الحوادث مستحيلاً ، أعدت لوطني فرنسا ، وعبثاً حاولت أن أنسى نيل التضحية التي بذلها نورمان كينت في سبيلنا ، وعبثاً حاولت أن أنسى أن لي عند الأرشيدوق وماريوس تأراً . .

وأخيراً قررت أن اتأمر صديقي وأن اعلم علي تصفية الحساب بيني وبين هذين الرجلين فعدت إلى إنجلترا رغم الأخطار التي تهدد سلامتي ، وحررتي ، وأخذت مع زميلي روجر في البحث عن الأرشيدوق وماريوس ، وكان الحظ حليفنا ، إذ وفقنا في مدة وجيزة إلى أكثر المعلومات التي نهمنا ، فعلمنا أن الدكتور ماريوس أن

برصاصة من مسدس نورمان كينت في ساعة النضال الأخيرة ولكنه عوفي من إصابته بعد أن قضى شهرين طريح الفراش . ثم علمنا أن الأرشيدوق لا يزال في لندن ، وأنه يقيم في فندق (ريتز)

وحدث أمس بيننا كمننا نرقب فندق (ريتز) أننا رأينا هنريخ دوسل يتحدث طويلاً مع الأرشيدوق ، فقررنا أن نعيث اللثام عن سر العلاقة بين هذين الرجلين . . عسى أن نعرف شيئاً جديداً عن أعمال الأرشيدوق ونواياه . . وهكذا بدأنا في مراقبة دوسل .

يبد أن كل ما اكتشفته منذ عودتي إلى إنجلترا ، لا يكاد يذكر في شيء إلى جانب الاكتشاف الذي وقعت عليه الليلة .

وصمت لوبين . . فنظر إليه روجر والفتاة في دهشة . ولم يفهما غرضه .

قال لوبين :

— لقد اكتشفت الليلة أن مهمة نورمان كينت لم تنته . وأنه قتل فارجان . ثم ضحى بنفسه على غير طائل ، لأن ماريوس - والأرشيدوق من وراءه - لا يزال يصول ويجول في الميدان .

نعم . أن هذا الرجل الجهلعي لا يزال يعمل على إشعال نيران حرب عالمية جديدة ، ولذلك يجب أن يموت .

فقات الفتاة :

— انك تتكلم بلهجة الواثق من نفسه . والكنني لا ادري صالة

بين اختطافي . وإشعال نار الحرب العالمية .

– الا ترى الصلة ؟ حسنا ، أصفى إلى . اننى سررت عليك الآن قصة اختراع الأستاذ فارجان ، بيد ان هذا الاختراع لم يسكن المحور الحقيقى للأساء الحرب المنتظرة . والواقع ان استيلاء احد الأشخاص او إحدى الدول على سر اختراع جهنمى كاختراع الأستاذ فارجان ليس معناه ان تقوم قيامة الدول ، وتعلن الحرب .

ان الحرب هى النتيجة النهائية لسلسلة من الحوادث التى ترمى إلى بذر سوء الظن وسوء التفاهم بين دولة وأخرى ، وقبل ان يدبر ماريوس مؤامرة للاستيلاء على اختراع الأستاذ فارجان . عمد بدهائه إلى إحلال سوء الظن محل الثقة بين إنجلترا وبعض الدول الأوروبية . فلم يكن يتقضى يوم دون ان تقرأ فى الصحف عن حادث اعتقال جاسوس ألماني أو فرنسى وهو يحاول تصوير بعض الاستحكامات الانجليزية . أو دخول أحد المصانع البريطانية التى تصنع الأسلحة والذخيرة للجيش البريطانى .

كذلك لم يكن يتقضى يوم دون ان تقرأ فى الصحف عن جاسوس بريطانى أتى عليه القبض وهو يحاول احراق أحد المناطيد الألمانية . او نسف إحدى المدرعات الفرنسية .

وكانت الحكومات فى جميع هذه الحوادث تبرا بحق من هؤلاء الجواسيس واعمالهم .

والواقع ان اكثر هذه الأعمال والمحاولات الجاسوسية . ليست

من تدبير الحكومات ، ولكنها من تدبير اولئك الذين يريدون الصيد فى الماء العكر بإيقار صدور الشعوب بعضها على بعض ، وغرس بذور النفور وسوء الظن بين الدول الحكومات تمهيداً لإشعال نيران الحرب بينها .

وفى الحق . انه ليس ايسر على من يملك المال من ان يدعو إليه أحد صااليك الانجليز مثلاً ، ويقول له اقبل كذا . وكذا . فيقبض عليك وتتهم بالجاسوسية . ويحكم عليك بالسجن ثلاث أو خمسة اعوام ولك فى مقابل ذلك عشرة آلاف من الجنيهات مثلاً .

ان هناك مئات بل آلاف من العاملين يقبلون مثل هذه المهمة التى لا تدل فى ظاهرها على شيء ، ولكنها متى تكررت . حركت الاحقاد الدفينة ، واثارت الغضبون السيئة وذهبت بالثقة بين الشعوب والحكومات .

لقد حدث عندما قتل فارجان . وايد اختراعه ان جمعية ماريوس واضرايه قد فرغت من الحيل والمؤامرات . وان فترة من الوقت ستقضى قبل ان نسمع او نقرأ عن المزيد من اعمال التجسس المزعومة . غير ان تجاربي الشخصية فى باريس والأنباء التى قرأتها فى الصحف ، قد دلتنى على ان جمعية ماريوس واضرايه لم تفرغ ، وأن المؤامرات لا تزال تدبر وتحاك بمهارة وصبر انتظارا للفرصة الملائمة التى يستطيع فيها التفتيون توجيه الطعنة القاتلة الى صدر السلام .

هل تدكرين يا آنسة حادث اعتقال الشاب الألماني الذى ضبط

وهو يحاول إحراق الطائرة البريطانية الجديدة (٣ - ٤ ر) ؟
- نعم أذكر هذا الحادث .

- انه لا يزال عالقا بالأذهان ، لأنه وقع منذ شهر واحد . وقد
أوشك الشاب ان ينجح في مهمته ، لولا اني علمت بالثأمر في الوقت
المناسب واخطرت صديقي المفتش تيل ، فقبض على الجاسوس المزعوم
متلبسا بجريئته .

فهل تعرفين ماهي الدولة التي كان هذا الشاب يعمل لحسابها ؟
انه لم يعمل لحساب إحدى الدول ، بل عمل لحساب الدكتور
رايت ماريوس .

ثم هل تذكرين حكاية ذلك الرجل الانجليزي الذي قبض عليه رجال
البوليس في فرنسا وهو يحاول التقاط صورة فوتوغرافية لاحدى
القواعد البحرية الفرنسية ؟
فأجابت الفتاة :

- لقد كتبت الصحف باسمها عن قضيته .

- كان هذا الرجل ابنا من اتباع ماريوس ، وقد علمت بهذا
الحقيقة لانني كنت كامنا في احدى الغرف بفندق (ادوار السابع
بباريس ، ومحمد تفاصيل المسارمة التي جرت بين هذين الجاسوسين
ورجل آخر أرسله ماريوس الى باريس للمفاوضة ودفع الثمن .

ان هناك عشرات من موائيق السلام وتزعم السلاح ، ولكن
مما قيمة الموائيق والمعاهدات اذا ضاعت الثقة بين الشعوب والحكومات

ان الناس في الوقت الحاضر لا يريدون حربا .

واولئك الذين شهدوا الحرب الماضية وفضاعاتها يبذلون قصارى
جهدهم للحيلولة دون حرب جديدة ، ولكن ماذا يستطيع الرجل ان
يفعل ، متى رأى رجلا آخر يأبى الا يسرق متاعه ، ويحرق منزله
ويكبل السباب لزوجته .

الا ينتهي به الامر حتما - مهما بلغ من صبره وسعة صدره - ان
يقبض على غريمته ، ويقابل التمردى بمنله ؟
وصمت لوبين لحظة ثم سأل :

- هل فهمت الآن يا آمنة ؟

فأجابت :

- اني فهمت غرضك وفكرتك ، ولكني لم افهم بعد كيف يحاول
صديقك ماريوس ان يجعل من اختطافي وسيلة لانسارة أى نوع من
الحروب !

- لقد افهمتك يا آمنة .

فنظرت اليه نظرة جوفاء وقالت :

- متى ؟

- الآن . . . عندما حدثت عن الممولين وأصحاب رؤوس الأموال
مع علمي بأنك ابنة أحد أصحاب الملايين .

الست سونيا ديهار . . ابنة هنرى ديهار ملك الفولاذ ؟

الست سونيا ديهار . . خطيبة السير جون لبسنج . . الرجل

الذي يسيطر على منابع البترول في البلقان . . والذي يلقب بدكتور
شرق أوروبا؟

وهل لم يحاول السير جون ليسنج طيلة الأعوام الأخيرة أن يهدم
الشركات التي تستثمر آبار البترول في روسيا؟

والآن . . لنفرض أنك اختطفت . . أو اختفيت قبيل زواجك . .
ثم ظهر أنك نقلت إلى روسيا فإذا يكون؟

الأمر واضح غاية الوضوح . . ان من الصعب اغراء الدول الكبرى
وحملها على اشعال نار الحرب . . ولكن ليس ايسر من وضع النار في
بلاد كبلاد البلقان التي اصطلح الناس على تشبيهها بريميل البارود .

والدكتور ماريوس رجل واسع الحيلة . . ولا بد انه توفر على
دراسة طباع السير جون ليسنج . . وميوله ونفسيته . . والسير
جون ليسنج مشهور بأنه ضيق الصدر سريع الغضب . . . إذا
اعترضه معترض ولو حول مائدة الميسر . . حتى عليه . . وعمل على
خرابه والقضاء عليه .

فرجل هذا خلفه وهذه طباعه . . لا يمكن أن يقف مكتوف
الساعدين متى توهم أن خصومه الذين ينافسونه في تجارة البترول قد
اختطفوا خطيبته .

وليس ايسر على ماريوس في هذه الحالة من ان يهمس في اذن
السير جون ليسنج كلمة تجعله يشمل النار في بلاد البلقان وروسيا .

و حرب في شرق أوروبا لا بد أن تجر وراءها حرباً أوروبية عامة

تشمل القارة كلها من أقصاها إلى أقصاها . . فهل فهمت الآن؟

فصعدته الفتاة يبصرها . . ثم هزت رأسها وقالت :

— هذه قصة أشبه بما تقرأه في الروايات الخيالية . ومن عجب
انك تتكلم بلهجة المؤمن بصحة رأيه
علي انك . .

ورفعت يدها إلى رأسها . . ولم تستطع اتمام عبارتها .
فقال لوبيين وهو يتنسم :

— مكينة انت ياسونيا . . لقد اتعبتك حوادث الليلة
ومفاجأتها . انك في اشد الحاجة إلى الراحة والنوم ومن الأفضل ان
ترجى حديثنا إلى الصباح ريثما يعود اليك نشاطك وقوتك .

سأذهب بك الآن إلى غرفة نومك . وسيكون اول عمل لزوجي في
الصباح ان يستمير لك بعض الثياب اللائقة من زوجة احد اصدقائه .
فنهضت واقفة . وقالت وهي تنظر اليه بحدة :

— هل تعنى ان . . ان في نيتك استبقائي هنا ؟
فأطرق لوبيين برأسه ، وقال :

— سنبقي هنا الليلة على الأقل .

— والقوم في السفارة . . سوف . .

— سوف يستولى عليهم القلق لا خفتائك . اليس كذلك ؟
فقات وهي تتراجع :

— اذن فانك لم تنقذني من ذلك المنزل الالهي . .

- الالكي اسجنك في منزلي ؟ كلا .. يا آمنة .. ليست هذه نيتي .
قال ذلك ووضع يده على كتفها بلطف واستطرد وعلى شفاهه ابتسامة هادئة مطمئنة :

- انني وصدقتي روجر بسبيل مغامرة من اخطر المغامرات التي
مرت بنا .. وقد حدثت لك الليلة بطرف من تفاصيلها .. وقد يأتي
يوم استطيع فيه ان احدثك بالتفاصيل كلها .. بيد ان الغليل الذي
سردته عليك . يكفي في ذاته لاقناعك باننا لانسمى وراء غميمة من
مال او متاع ..

انني لم أضع خطتي بعد ، ولا أعلم كيف سيبدأ الاتصال بيني وبين
الدكتور ماريوس ، ولكنني لأرى مائعا في الوقت الحاضر من أن
أضع يدي على السلاح الذي يحارب به ماريوس ، وهذا السلاح
هو انت ..

ومن المحتمل أن يهديني التفكير إلى خطة صالحة قبل أن تبرز شمس
الغد ، ولكن من الآن ، إلى أن أضع خطتي ، وأعرف دورك فيها ..
ينبغي ان احتفظ بك هنا ..

- هل تريد ان اكون سجينتك في هذا المنزل ؟
- كلا .. فذلك آخر ما أفكر فيه ، وكل ما اطالبك به هو ان
تعديني بالألا ترحي هذا المنزل خلال الأنتى عشرة ساعة القادمة .
فصمت الفتاة واطرقت برأسها .
وراح لوبين ينظر اليها بامعان ، كأنما يريد ان يتغلغل في اصقان

نفسها ، او ان يقرأ ما يجول وراء جبهتها المرتفعة الناصعة البيضاء ..
لقد اراد بأحاديثه في النصف الساعة الأخيرة ان يقنعها ، فلما
لاحظ الآن تردها ، لم يتمالك من ان يسأل نفسه ، ترى ماهي العقوبة
التي يفرضها القانون الانجليزى على الشخص الذي يسجن في منزله ابنة
احد اصحاب الملايين ؟

على ان صمت الفتاة لم يدم طويلا ، وكذلك لم يدم تردها حين
رفعت عينيها ورأت الابتسامة الهادئة التي تضيء وجه لوبين .
قالت :

- اننى اعدك .

فاجاب :

- شكرا لك .

« . . »

وذهب بها لوبين إلى غرفته الخاصة ، وهناك قال لها :
- ستجدين في هذا الدولاب مجموعة لابأس بها من (البيجامات)
فاختارى منها ما يروقك .

وابتسم واردف :

- وإذا وجدت ان ييجاما واحدة لاتسع لك .. فارتدى
بيجامتين .

ثم قال وهو يمس كتفها بلطف :

- سأحاول في احد الأيام ان أوضح لك معنى سلوكي هذا ، وان

اعتذر لك .

فابتسمت واجابت :

- وانا من ناحيتي سأحاول في احد الأيام ان اغفر لك .

- طاب مساءك ياسونيا

وقبل يدها بسرعه ، وخرج من الغرفة .

وعاد لوين إلى غرفة الاستقبال . فوجد روجر يحترق قدحا من

الجمعة .

قال له :

- اظن ان الوقت قد حان لنا نتمس شيئا من الراحة ، إننا نستحق

النوم عن جدارة .

فقال روجر متذمرا :

- وما حاجتك إلى النوم . وقد فزت بالقيمة كلها .

فظر اليه لوين مدهوشا وسأله :

- ماذا تعني ؟

- ماذا اعني ؟ انك احتسرت لنفسك حديث الفتاة وبساتها

الساحرة ، فلم تتحدث إلى سوى مرة واحدة .

فقهقه لوين ضاحكا وقال :

- رفته عنك يا صاح ، انا على ابواب مغامرة اعذب من

بسات النساء .

- لو انا عدنا بالفتاة إلى دار المفوضية الأمر بكية اذن لنا اني من

ذكر ايها وكرمه بضمة آلاف من الجنيهات .

- اما الآن فسيكون نصيبك اما السجن خمسة عشر عاما لاختطافك

ابنة احد اصحاب الملايين او رخصة من مسدس الدكتور ماريوس .

- لاشك ان الأرشيدوق وماريوس قد علما الآن من دوسل باننا

عدنا إلى الميدان .

فنظر اليه روجر طويلا ثم قال :

- هل انت واثق من صحة النظرية التي ادليت بها إلى سونيا ؟

فاجاب لوين بصراحة :

- الواقع انها نظرية خطرت لي عرضا . ولا اعلم على وجه

التحقيق نصيبها من الصحة ، ولا شك ان هناك نظريات اخرى لتعميل

اختطافها ولكني وجدت ان هذه النظرية هي الأقرب إلى النقل

والمنتقى ولست اعلم لماذا لا تكون هي النظرية الصحيحة .

- ان ما يجيرني ، لماذا اختطفت الفتاة . ولأى غرض تريد

استخدامها !

فابتسم لوين واجاب :

- وذلك ما يجيرني ايضاً يا روجر ، بيد اني اشعر شعوراً بمبها

بأن هذه الفتاة هي اقوى سلاح في المعركة ، وانا ستفيد منها كثيرا

متى بدأ النضال .

واطرق برأسه لحظة ثم نهض وهو يقول :

- هلم بنا إلى الفراش يا روجر ، فالفراش هو المسكن الوحيد الذي

استطيع فيه حل المعضلات .

الفصل الثالث

بداية النضال

وفت السيارة بالباب ، وهبط منها رجل متقدم في السن يحمل
بإحدى يديه حزمة كبيرة . . . وبتوكأ بيده الأخرى على عصا .
دخل هذا الشيخ بيت لوبين واغلق الباب وراءه ، ثم شرع يرقى
السلم بخفة الشباب .

وقصد انواء إلى غرفة الطعام ، حيث كان روجر وسونيا يتناولان
طعام الإفطار ، فالتقى بالحزمة والعصا في احد الاركان وقذف بقبعته
في اثرهما وهتف :

- ما اجل هذا الصباح ، لولا مضايقات رجال البوليس السرى .
ثم التفت إلى سونيا واستطرد وهو ينتزع لحيته وشاربيه :

- لقد كانت مشكلة ثيابك في طليعة المشاكل التي وفقت إلى حلها
فانه من غير المألوف ان تنتقل ابنة ملك الفولاذفي شوارع لندن مرتدية
(بيجامة) ارسين لوبين .

واشار إلى الحزمة التي جاء بها واردف :

- لقد جئتك بطائفة من الثياب تصلح لابنة احد اللوردات . .

هل التهمت الطعام كله يا روجر ؟ !

فاجابه روجر :

- لأنني احتفظت لك ببيضة .

- بيضة واحدة ؟ يا إلهي أننى أكاد أن أموت جوعاً يا رجل .

- إذا أردت بيضة أخرى فعليك أن تبيضها . لم يكن بالمنزل سوى

أربع بيضات ، وقد أكلت الضيفة العزيزة اثنتين منها .

- هذا نبأ سار ، لأنه يدل على أن الضيفة العزيزة تستمتع

بصحة جيدة .

ثم أميل على الطعام بلتهم، بشراة .

سألته الفتاة :

- لماذا تسكرت في زى شيخ ؟ هل تعتقد أن رجال البوليس

يتعقبونك ؟

فأجاب لوبين وهو يتسهم :

- لأنهم يتعقبوننى منذ عشرين سنة ، والسكهم بدأوا يضيقون على

الحناق في المدة الأخيرة .

فقال روجر :

- وهل تعتقد أن فى استطاعتك إختطاف بنات ملوك الفولاذدون

أن يحرك رجال البوليس ساكننا للاقتصاص منك ؟

- لأظن ان إختطاف الأنة سونيا هو السبب فى انتشار رجال

البوليس السرى فى الأماكن التي تعودت غشيانها ، ولو كان هنريخ

دوسل قد حدثهم عن إختطاف ابنة ملك الفولاذ من منزله . إذن لتعين

عليه كذلك ان يذكر لهم كيف وصلت سونيا إلى بيته ، وذلك مالا

يستطيع ان يفعله دون ان يفضح نفسه .

تبا للظروف السيئة .. لو لم يكن هذا اليوم هو يوم الأحد ..
اذن لطلعت عينا الصحف بانباء قد تمهما . اما والصحف لاتصدر اليوم
فقد اصبح لزاما ان انطلق لتسقط الانباء بنفسى .

فهتف روجر :

- تفعل ماذا ؟!

- انطلق لاستقصاء الاخبار بنفسى .. من الارشيدوقى رودلف .
في فندق (ريتز)

ثم اعتدل في مقعده . ونظر في ساعته وقال محدثا سونيا :

- ستصبحين في حل من وعديك بعد انقضاء اربع ساعات ..

واسكنى احلك الآن من هذا الوعد .

فصعدته الفتاة بينيها طويلا ..

كان في استطاعتها ان تشكره .. وتذهب في سبيلها .

وكان في استطاعتها ان تذهب في سبيلها دون ان تنطق

بكلمة شكر .

والكها لم تفعل شيئا من ذلك .. بل سأله ببساطة دون ان

تتحرك من مكانها :

- لماذا ؟!

فأجابها بهدوء :

- لقد فكرت في الأمر مليا ليلة أمس كما وعدتك .

- وهل وضعت خطتك ؟!

- نعم ..

- من يدري .. فربما كانت تشبه خطتي .

فرفع لوبين حاجبيه متسائلا وردد :

- تشبه خطتك ؟!

فابتسمت واجابت :

- اتنى استطيع ان افكر مثلك يا مسيو لوبين .. وقد فكرت

طويلا ليلة أمس . فكرت في كل ما سمعته منك . وكل ما سمعته عنك .

واقنعت بما ذكرته لى . . ووجدت أنه لا توجد غير وسيلة واحدة

للعمل .

- وهي ؟!

- ألم تقل اتنى أقوى سلاح في يد الدكتور ماريوس ؟!

كنت على صواب حين قلت ذلك .. وقد كان من المهم أن تعرف هذه

الحقيقة .. بيد أن هناك حقائق أخرى مازلتا نجعلها . . وأهم هذه

الحقائق هي .. كيف ينوي الدكتور ماريوس استخدام هذا السلاح ؟!

وماذا لديه من اسلحة أخرى للوصول إلى غرضه ؟!

ألم تفكر مثلى في كل ذلك يا مسيو لوبين ؟!

- بل فكرت .

- وماذا كانت خطتك ؟!

وهنا التفت عيونهما .. وشعر لوبين بأن هذه الفتاة الحسنة ربيبة

النعمة لا تقبل عنه ذكاه وبسالة وبعد نظر .
أجاب :

- كان في نيتي ان اطلب اليك العودة إلى . . إلى هنريخ دوسل .
فقلت سويا :
- وذلك ما كان في نيتي أن اقترحه عليك .

وهنا راح روجر يتقل البصر بين لويين وسونيا في دهشة وتبليد .
شعر بنفسه غريبا بين هذين المخلوقين اللذين توهمت بينهما أو احسر
التفاهم بهذه السرعة . . واحس كأنه يعيش في جو آخر غير الجو الذي
يعيشان فيه . ولعن نفسه على غباوته . وجود ذهنه . . وعجزه عن فهم
الحقائق كما يفهمانها .

قال لويين محدثا الفتاة :

- وهل فكرت في الأخطار التي ستهدفين لها ؟
- انني عرضة للأخطار في كل وقت .

- ألا تخشين أن افشل فـسكون بذلك قد اعدنا إلى ماريوس
السلاح الذي اترعناه منه ؟

فقلت بلهجة الثقة والاطمئنان :

- انك لن تفشل . . وبعد . فالقضية هي قضية الانسانية والمدنية
والسلام . . وانت تعلم ذلك . . فليس من حقلك اذن ان تنفهم .
- انت فتاة بسالة . .

عندما قلت لك انني احلك من وعدك . . كنت اريدك على ان
تعودي إلى دار السفارة الأمريكية . وان يعود ماريوس إلى اختطافك
وهكذا استطيع ان اتقبه واعرف نواياه واغراضه .

واما وقد ادركت من تلقاء نفسك ان السبيل الأوحى لامانة
الثام عن المؤامرة التي اتخذك ماريوس محورا لها . هو ان تضعي نفسك
بين يديه فاني لا يسعني إلا ان اهتك على ذكائك وبسالتك .

قال ذلك ونهض إلى جهاز التليفون وتناول السماعة وطلب رقبا .
ثم هتف :

- آلو . . آلو . . هل استطيع التحدث إلى الدكتور ماريوس ؟
قل له ان ارسين لويين يريد التحدث اليه .

وهنا وثب روجر من مقعده وصاح :

- هل جئت بالويين ؟ ماذا تفعل . ؟

واكن لويين لم يعبا به . بل راح يتحدث إلى الرجل الذي كان
يقفه . كما لم يعقت انسانا آخر في العالم .

هتف :

- آلو . آلو . . اهذا انت يا ماريوس ؟ كيف حالك ايها الحمل

الوديع . وكيف حال هنريخ العزيز ؟ ؟ لا شك انه انباك يعودني إلى
انجلترا . . والواقع انه كان في نيتي ان اتصل بك قبل الآن وانبك
شخصيا بعودتي . . لولا كثرة أعمال كطبيب . لم يحدثك هنريخ عن
المريض الشاذ الذي تطوعت لمعالجته ليلة امس . . انا وانفق انه

- وكيف؟

- أو كد لك انه الآن على اتصال بإدارة التليفون لمعرفة رقم تليفوني؟

- هل نسيت ان ادارة التليفون لا تبوح قط بعنوانات المشتركين وان رقم تليفونك لا يبدله على عنوان منزلك؟

- بخيل الى انك لست في وعيك يا عزيزي روجر ، فهل نظن أن ماريوس يعجز عن معرفة عنوان هذا المنزل ؟ ليس ايسر عليه من البحث في (دليل لندن) لمعرفة عنوان صاحب التليفون رقم (٣٤٠١٥) ان لديه جيشا من الأعوان والاتباع ، وفي استطاعته ان يحشد جميع اعوانه للبحث في كل صفحة من صفحات (دليل لندن) وهي مهمة قد لا تستغرق منهم اكثر من نصف ساعة .

فقال روجر :

- هب انه عرف عنوان هذا المنزل ، فاذا نفيد من ذلك ؟

فاجاب لوبيين وهو يرسل من في سحابة من الدخان :

- ساوضح لكما خطتي ، فاصفيا الى .

الفصل الرابع

مقابلة

دخل الشيخ فندق (رينز) وهو ينتزع قدميه من الأرض اتزاطا . كانت تجهيزات وجهه ، وحركاته البطيئة تدل على انه تجاوز السبعين من عمره ، اما ثيابه ، فكانت ثياب رجل يعرف معنى الأناقة رغم

حدثك ، وانه عبرك عن اعجابه بطريقة علاجى ، كلا ، كلا ، ليس عندي ما اقوله لك ، كل ما هناك انى اردت ان اشنف اذنى بصوتك العذب . ماذا تقول ؟ الشيخ المريض ؟ انه في خير حال . ولكنه يشمر بصداع بسيط ، وسينقل الى السفارة غدا لاننى لا اسمح لمرضى بالرحيل قبل ان يتم شفاؤهم ، اذكرنى عند سيدك الأرشيدوق ، وابلفه اننى قد اعرج عليه في فندق (رينز) قبل ظهر اليوم لا تناول معه كاسا من الويسكى ، الى اللقاء يا صغيرى العزيز .

ووضع السماعة ، وانثنى الى روجر وسونيا وهو يقول :

- هذا بديع ، لقد وضعت له (العلم) فابتلعه في حذر ، هل

ادركت غرضى يا روجر ؟؟

- كلا .

- وانت يا سونيا ؟

فهزت الفتاة رأسها سلبا ، وضحك لوبيين وقال وهو يشعل

لفاقة تبغ :

- ان ماريوس يعلم الآن انك عندي ، ويمتقد انك ما زلت

تعاين من تأثير المخدر ، وليس في استطاعتك الانتقال الى دار

السفارة قبل غد .

وعلى هذا الاعتقاد سوف يعمل على اختطافك من هنا قبل

ان تعودى الى دار السفارة الأمريكية .

فقال روجر ساخرا :

- وكيف يختطفها وهو لا يعرف عنوان هذا المنزل ؟

تقدمه في السن .

قال محدثا احد خدم الفندق :

- اريد مقابلة الأرشيدوق رودانف .

- اى اسم اذكر له ياسيدى ؟

فاخرج الشيخ من حيبه بطاقة قدمها الى الخادم وهو يقول :

- انبئة بان اللورد كريزر يرجو مقابلكه لأمر هام .

فتناول الخادم البطاقة وهو يقول :

- تفضل بالجلوس ياسيدى ، ريثما احمل اليه بطاقتك .

جلس اللورد في الانتظار ، وعاد الخادم بعد لحظة وقال وهو يحني

رأسه باحترام :

- تفضل يا مولاي .

وذهب باللورد الى الجناح الخاص بالأرشيدوق ، وارشده الى

غرفة الاستقبال .

ومن عجب ان اللورد لم يسكد يديه بيساب الغرفة ، حتى ارتفع رأسه

واعتدل قائمه .

ونفض الأرشيدوق لاستقبال ضيفه .

صعد به عينييه من قمة رأسه الى أخمص قدميه . بنظرة تدل على

التساؤل .

قال اللورد :

- اعتقد أنك لا تذكرنى يا صاحب السمو .

فاجابه الأرشيدوق فى أدب وهو يتسم بلطف :

- لا أذكر اننى تشرفت بمقابلك قبل الآن ياسيدى اللورد

فابتسم اللورد بدور . وقال :

- ومع ذلك فاننى أعلم انك قوى الذاكرة .. فهل نسيتنى بهذه

السرعة ؟

فقال الأرشيدوق معتمدا :

- اننى أقابل اناسا كثيرين .

فرفع اللورد عويناته وازال لحيته ، وقال :

- احسب إنك ستذكرنى الآن .

فابتسم الأرشيدوق وهتف بهدوء تام :

- آه ، اهذا أنت يامسيو لوبين ؟ ولكن لماذا التذكر ، ولماذا

هذه الحبيطة وهذا الحذر ؟ ، أم امك أردت أن تلبس زيارتك ثوب

المفاجآت ؟

فضحك لوبين وأجاب :

- كان لا بد من الحذر ياممو الأرشيدوق ، اما عن الباس زيارتى

ثوب المفاجآت فذلك مالم افكر فيه ، لأننى أعرف إنك رجل لا يهتر

له هذب امام اشد المفاجآت .

- مهها يكن من امر فاننى مسرور بمقابلك .

فسأله لوبين بلطف :

- هل انت واثق من ذلك ؟

فلم يجبه الأرشيدوق ، بل تناول علبة ذهبية بديعة ، قدمها الي
وهو يقول .

- هل لك في لفافة تبسغ ؟

- شكرا لك ، ولكنني افضل تدخين لفائف في الحاصة ، لانها اسلم
لصحتي .

فهز الأرشيدوق كنفه وقال :

- انك اخطأت في اختيار مهنتك يامسيو لوبين ، كان يحسن بك

أن تشغل وظيفة في السلك السياسي

فأجاب لوبين ساخرا :

- إن الفارق بسيط بين مهنتي ومهنة الساسة ، فالساسة يجتالون

على الشعوب ، اما انا فاحتمال على الأفراد ، ومن يدري فقد ارقى

في احد الأيام إلي مرتبة الساسة .

- اذكر اني مرضت عليك مرة ان تعمل في خدمتي .

- هذا صحيح .

- ولكنك رفضت .

- وهذا ايضا صحيح .

- ترى هل عدلت عن رفضك ؟

فابتسم لوبين واجاب :

- هب اني قلت لك اني عدلت عن رفضي ، وانني نسيت او

تناسيت مصرع صديقي نورمان كينت .

وهب اني قلت لك ان جميع المباديء التي كنت ادين بها ..

والأغراض التي كنت اسمي اليها .. أصبحت لاتعنيني . ولا تهمني ..

فهل ترحب بي في خدمتك ؟

فأجاب الأرشيدوق :

- إذا ردت رأبي بصراحة قلت لك اني لا أرحب بك .

انني اعجب بك واعترف بمراهبك وذكاكك .. ويهمني ان تصبح

في عداد أعواني .. ولكنني أعلم ان ذلك حلم بعيد التحقيق .. واعلم

فوق ذلك انك إذا انتقضت علي مبادئك ولبست غير ثوبك .. أصبحت

غير من أنت الآن .. فتقل أهميتك ويأفل نجمك

فسار لوبين إلى احد المقاعد وتهاكك عليه .. وراح يرقب الأرشيدوق

من خلال سحب الدخان التي تنبعث من فمه .

قال الأرشيدوق في لطف وادب :

- وحيث انك لم تأت الآن للانضمام تحت لوائتي .. فما لاشك

فيه انك ترمي من وراء هذه الزيارة إلى غرض آخر .. فهل لي ان

اعرف غرضك ؟

فأجاب لوبين بهدوء :

- انني جئت لاجتذاب معك أطراف الحديث .. فقد احسست

في خلال الأربع والعشرين ساعة الأخيرة ان في الجو رائحة غامضة ..

وخطر لي انني ربما استطعت أن اسمع منك ما ينق الجوى .. ويوضح

غموضه .. وكان بودي ان اجدهنا صديقنا العزيز الدكتور ماريوس

ليساهم معنا في الحديث .

فنظر الأرشيدوق إلى ساعته وقال :

- انى انتظر قدمه بين لحظة واخرى . . لقد كان هو المسئول
عن . . عن الحادث المشؤم الذى ذهب ضحيته صديقك نورمان
كينت .

فلمعت عينا لوبين وقال :

- هذه احدى الحقائق التى كنت اتحرق شوقا إلى معرفتها .
ثم استطرد على الأثر . . بصوت هادىء لا ينم عن الحقد الذى يملأ
جوانب نفسه :

- انت تعلم للغرض من زيارتى يا سمو الأرشيدوق . . انى جئت
لا استفسر عن صحة صديقك هنريخ .

- اعتقد انه فى خير حال

- ماذا قال لرجال البوليس ؟

- آه . . لقد كنت اتوقع هذا السؤال .

- لا عجب . . فانى رجل مطبوع على الفضول .

فدق الأرشيدوق رمادا لفأفته ببطء واجاب :

- ما دمت تريد ان تعرف . فاعلم اذن انه انبأ رجال البوليس بأن
عمه الذى اعتاد ان تفاجئه نوبات عصبية حادة قد وصل من (ميونيخ)
امس وانك اقتحمت المنزل زاعما انك طبيب فاستطعت الدخول قبل
ان يتمكن من طردك ودحض مزاعمك . ثم هددت بمسدسك وانباته

انك ارسين لوبين ، واختطفت عمه المريض .

ولم يكن دوسل يعلم بطبيعة الحال لماذا اقدمت على هذه المغامرة
ولماذا اختطفت (المريض) ولكنه وجد انه لا يخسر شيئا إذا ترك
رجال البوليس حل هذه المعضلة .

- واذن فهذا هو السبب فى انتشار رجال البوليس فى الأماكن التى
اعتدت غشيانها .

- لا شك فى ذلك . . وقد كان هنريخ موقفا فى الايضاحات التى
ادلى بها لرجال البوليس .

انه ضرب عصفورين بحجر واحد . . فنخلص من مضايقات
بوليس ، واطلق رجال سكوتلانديارد [ادارة البوليس] فى اثرك
- انه رجل ذكى

- واسكنك كنت اذكي منه يا عزيزى لوبين ، كانت حيلتك غاية فى
البراعة ولو لم تذكر اسمك لما تمذر على ان اعرف انك صاحب هذه الحيلة
لأن عليها طابع ذكائك وبراعتك .

ولكن حدثنى يا مسيو لوبين : ما ذا فعلت بالفتاة ؟

وقد لنى الأرشيدوق هذا السؤال ببساطة وقلة اكرات . فخلق
لوبين فى وجهه . ثم ضحك وقال :

- هذه سذاجة لم أعهدا فيك يا رودلف .

فرفع الأرشيدوق حاجبيه وقال وقد ارتسعت فى عينه نظرة
بريئة :

- انك اردت ان تعرف امراً فسالنتي ، وأجبتك ، فأية غرابة في ان احذو حذوك ؟

فهز لوبين رأسه ، وابتسم ، وغاص في مقعده ، ورفع عينيه إلى سقف الغرفة .

لم يكن في سقف الغرفة ما يلفت النظر .

كان يفكر ، ويحاول ان يكشف شيئاً من خواطر الشاب الهادي .
الجالس امامه .

ولكنه ما لبث ان عترف بعجزه عن التغلغل في اعماق هذا التمثال الجامد ، وهذا المخلوق الجهنمي الذي يعرف كما لا يعرف اي إنسان آخر كيف يسيطر على عواطفه ، ويخفي شعوره ، ويظهر غير ما يبطن .
شعر لوبين بأنه امام غريم كرم ، لا يقل عندها وسعة حيلة .

التقت عيونهما لحظة ، كما يلتقي السيفان .

قال الأرشيدوق في ادب :

- ما اشبهنا برجلين يتبارزان بأسلحة غير منظورة ، ولا يستطيع كل منهما ان ينال من غريمه .

فلم يجبه لوبين . واستطرد الأرشيدوق :

- من المتفق عليه بيننا انك عاقبة في سبيلي يسرني كثيراً ان اتخلص منها . فما قولك إذا اسلمتك الآن إلى رجال البوليس ؟

- إذا فعلت ذلك تعين عليك ان تجيب على بضعة اسئلة حول مسائل

يهمك الاتار في دوائر البوليس .

- هذا صحيح . وما قولك فيما إذا قررت ان اتخلص منك .

الآن . هنا .

- هذا امر متعذر . في فندق حافل بالازلاء والخدم كفندق ريتز - ذلك صحيح أيضا .

وصمت الأرشيدوق قليلا . ثم قال :

- ان بين يديك الآن شيئاً ، أو شخصاً ، يهمني أمره .

- انت تعني «عم» هنريخ طبيباً .

- وانت يهمك ان تعرف لماذا يهمني أمر هذا الشخص .

- ربما .

- إذن فما قولك في ان نتبادل . فترشدني إلى مكان الشخص .

واصارك به رضي منه .

- لا اظن ان هناك سبيلاً إلى هذه المبادلة .

« . »

ونجأه مع لوبين وقع اقدام - ثم فتح باب الغرفة . ودخل رجل .

عظيم الجسم كالعمالقة . بشع الخلفه كالقروود .

هتف الرجل بصوت ينم عن السرور :

- يا صاحب السمو .

ثم صمت في الحال إذ وقع بصره على لوبين .

ونفض لوبين واقفاً وقال وهو يبتسم . ويده اقرب ما تكون

إلى الجيب الذي وضع فيه مسدسه .

- ماريوس ، اهذا انت : ما اعظم سروري بلقائك .
فقطب العملاق حاجبيه . ونحول إلى الأرشيدوق وبدأ يتحدث
إليه باللغة الألمانية بصوت أجش .
ولكن الأرشيدوق قاطعة بقوله :

- لتتكلم بالانجليزية أو الفرنسية يا عزيزي ماريوس . فقد بهم
صديقنا لو بين أن يعرف موضوع الحديث .

فأل ماريوس بالانجليزية :

- كيف استطاع الدخول ؟

- انه دخل من الباب .

- ورجال البوليس . كيف . . .

فقاطعه الأرشيدوق :

- اعد تحدثت في هذا مع مسيو لو بين يا عزيزي ماريوس .

صحيح أن هزبنج وجهه إليه بعض الهم لتغطية موقفه . واسكن
ذلك لا يمنعنا من الاعتراف بأن القبض على مسيو لو بين من شأنه أن يحرج
علينا بعض المتاعب والمضايقات .

فغمغم لو بين :

- بل أنه يحرج عليك متاعب لاحصر لها .

فتجاهه الأرشيدوق . وقال هو يشمل لفافة تبغ أخرى :

- ولكن ماذا عندك من الأنباء يا عزيزي ماريوس . لقد كانت

يبدو على وجهك علامات الارتياح عندما دخلت .

فاجاب ماريوس .

- إني نجحت في مهمتي يا مولاي .

- تكلم ، ووضح . فهذه أنباء قد تسر صديقنا لو بين .

« . »

ونظر ماريوس إلى لو بين باحتقار وسخرية ، وادرك لو بين ما وراء
هذه النظرة .

« . »

قال العملاق يطفء :

- ان الآنسة سونيا ديهار بين ايدينا .

فلم يأت لو بين بحركة . ولم ينطق بحرف .

واستطرد ماريوس وهو ينظر إلى لو بين .

- لملك تذكر إنك اتصلت بي تليفونيا لتبجح بفوزك ، وقد

كان تبجحك هذا سببا في فشلك ، فإني إتصلت في الحال بإدارة التليفون
وعرفت رقم تليفونك ، واهتديت إلى عنوانك في دليل لهن .

وقد وجدنا سونيا ديهار وحدها في منزلك فكان الأمر يسر

ماتوهنا ، لأنني كنت اتوقع ان اجدك او ان اجد بعض اصدقتك

فقاطعه لو بين :

- هذه خدعة ، إنك لم تستمع الوصول إليها .

فقال الأرشيدوق :

- لا اظن ذلك يا عزيزي لو بين ، قال كنور ماريوس رجل مقتدر
وليس هناك ما يحمله على الكذب .

فاقترب ماريوس من لو بين خطوة ، وقال شرر الغضب يتطاير
من عينيه :

- اذك وصديقك نورمان كينت قد خدعتاني في احد الايام ، وقد
دفع صديقك حياته ثما لهذه الخدعة ، فاذا خطر لك الآن .
فقاطعه الأرشيدوق مرة اخرى :

- لنسكن عمليين يا عزيزي ماريوس ، إنك نجحت في مهمتك ،
وهذا حسن ، ولكن صديقنا هذا يا أبي إلا ان يتدخل في كل شأن
من شؤوننا ، وقد تفضل الآن فالتى بنفسه بين ايدينا .

فقاطعه لو بين بأن ضحك وقال متما عبارته :

- فاذا يجب ان نفعله بجثته 177

حسنا ، سأترك لك الوقت الكافي للتفكير فيما يجب أن تفعله
بجنتي ، ولكني أحب فقط ألا يمتد صدقي العزيز ماريوس أن
النبأ الكاذب الذي نقله الينا الآن عن إختطاف الأنة سونيا ديلعارلم
يشمل الشيب في رأسي .

قال ذلك . . . وخلص قبعة . . . وانتزع كتلة الشعر الأشيب التي
تمسك بها . . .

فعل ذلك ببساطة . . .

وببساطة كذلك سقطت كتلة الشعر من يده ، فأمخني ليلتقطها .

ولكنه لم يكذب يلتقطها حتى سقطت القبعة من يده كذلك . . .
وتدحرجت على أرض العرقة . . . وأصبحت علي مسافة خطوة واحدة
من الباب .

فتبعها في هدوء . . . وبطء . . . والتقطها . . . ووضعها على رأسه .
وهو يقول :

- إن الخصوم الأقوياء الذين على شا كلتنا . . . لا يمكن أن يعيشوا
طويلا في جو واحد . . . ولذلك أرجح أننا سنتقابل مرة أخرى . . .
وعندئذ تكون تصفية الحساب ، فالى اللقاء . . .

قال ذلك ومرق من الباب كالسهم . . .

وبعد لحظة سمع الرجلان صوت غلق الباب الخارجي .

« . . »

كان غرض لو بين من هذه الزيارة أن يستدرج الأرشيدوق إلى
الاقضاء ببعض المعلومات . ولكنه قام بالزيارة دون أن يضع خطة معينة.
كان يعتمد - كما هي العادة - على ذكائه ، وسرعة خاطره ، مم
على الظروف والفرص التي قد تسنج له ، لأنه تعلم بالتجربة ان وضع
الخطط المطولة مضيفة للوقت ، سببا إذا كان خصومه من طراز
الأرشيدوق والدكتور رايت ماريوس ، اى من الدهاة الأقوياء الذين
يستطيعون ان يفسدوا عليه تدابيرهم بإشارة او كلمة .

أما الفرص التي تعرض عفوا ، وتنتهز بلباقة وذكاء ، فانها تكون
في العادة اجدي من الخطط الموضوعة .

وقد كان لو بين مقتنعا بصدق النبأ الذي جاء به ماريوس ، ولكنه قدر ان مثل هذا النبأ لا يمكن ان يمر بغير تعليق او تعقيب ، وان حديثا في صدره لابد ان يدور بين الرجلين ، وهو لذلك كان ابعد من ان يفكر في الفرار ، قبل ان يسمع هذا الحديث الهام .
فتح لو بين الباب الخارجي ، واغلقه .
ولكنه لم ينصرف بل عاد ادراجه بخفية ، وتوارى في مغرفة المجاورة لقاعة الاستقبال حيث ترك الأرشيدوق وماريوس .

(. .)

وقد كان خروج لو بين بتلك السرعة فجائيا وغير منتظر ، فانقضت بضع ثوان قبل ان يدرك ماريوس ما حدث ، فلما ادرك ذلك ، وهم بان يسرع في إثر لو بين ، استوقفه الأرشيدوق بقوله :
- لافائدة من احداث جلبة الآن يا عزيزي ماريوس .
- ولكني لا يزال في الاستطاعة القاء القبض عليه يا . .
- يجب الاتساع ان في استطاعته ان يقول عنا كلاما يجلب علينا من المتاعب اكثر مما يجلب تدخله في شؤوننا . فرعه يذهب وسوف تتقابل كما قال . وعندئذ تكون تصفية الحساب .
- لقد كانت الفرصة سانحة الآن للتخلص منه .
- لا تزال الفرص كثيرة يا ماريوس . اجلس الآن وحدثني بما فعلت . .
جلس العملاق في احد المقاعد . . ونظر اليه الأرشيدوق في فضول

قال ماريوس باختصار .

- اتنا اختططنا الفتاة ، وارسلناها الى (سولنهام) . وستأتي الباخرة الليلة مرة أخرى . . وسيكون (فاسيلوف) على سطحها . . وسوف يتم زواجهما بمجرد اجتماعهما في الباخرة .
- وقبطان الباخرة ؟
- انه اطوع لي من بناني .
- وهل أنت واثق من نجاح الخطة ؟ هل أنت واثق من أن هذا النهدي فيه الكفاية ؟

- نعم . . فأنا اعرف السيرجون ليسنج كما اعرف نفسي . . ونيس عندي أقل شك في أنه سيقبل اقتراحي . . فلماذا لم تظهر طواريء أو عقبات ليست في الحسبان . . كان دخولك (أو كرايسا) قبل انقضاء اسبوع واحدا أمرا مؤكدا .

* * *

كانا يتحدثان باللغة الألمانية . . وقد معهما الو بين . . وفهم حديثهما . وجد أن هذه العبارات القلائل التي تبودلت بين الرجلين تؤيد ظنونه . . فاقليم (او كرايسا) هو أغنى أقاليم روسيا بالبتروول . واقربها الى حدود (بافاريا)

سأل لأرشيدوق :
- والاجراءات الأخرى يا ماريوس ، هل تمت كلها ؟
- كل شيء يسير على ما يرام يا سيدي الأرشيدوق ، ألم تقرأ

الصحف ، وتلاحظ مبلغ توثر العلاقات الدولية ؟ أن يرميل البارود على استعداد . ولا تنقصه سوى الشرارة التي تحدث الانفجار . وقد تلقيت اليوم برقية بالرموز الجفرية من أحد رجالنا في (فيينا) فخلت هذه الرموز . . واليك نص البرقية يا مولاي .

فتناول الأرشيدوق الورقة التي قدمها اليه ماريوس ، وقرأها ، واخذ يسير في الغرفة جيئة وذهابا .

وظل ماريوس قابعا في مكانه . يتبع الأرشيدوق يبصره وهو يروح ويحي .

وتكلم الأرشيدوق أخيرا فقال :

- وما قولك في صديقنا لوبين ؟ انه رجل ذكي ، وأنا شديد الإعجاب به ، ولكني لا اصح قط لشعوري الشخصي أن يعطى على المصلحة العامة .

انه قذى في عبوتنا ، ويجب ان اشجرك على التخلص منه .

لا شك انه سيحاول البحث عن الأئمة سونيا ديهار متى علم انك كنت جادا فيها ذكرت ، وانك اختطفتها احقا .

فقال ماريوس وهو يتسم :

- سوف اتخذ الاجراءات اللازمة لمساعدته في ابجائه الى حدما .

ومن ثم تتخلص منه بلحدى الوسائل ؟

فاجاب العملاق بصوت ينم عن غيظه وحنقه :

- لا شك انى سأتحلص منه هذه المرة نهائيا .

فضحك الأرشيدوق

الفصل الخامس

المطاردة

تأمل لوبين من فندق (ريتز) ، دون ان يرتاب أحد في امره ، كان قد ذهب إلى الفندق لتسقط الأنباء ، تخرج منه متخوما بالمعلومات الهامة الخطيرة التي وصلت إلى أذنيه دون أن يكلف نفسه شيئا كثيرا من العناء .

قصد لتوه إلى شارع سان جيمس ، ودخل (نادى السيارات الملكي) ، وبحث هناك في الخرائط الكثيرة التي بالمندى عن موقع (سواتهام) .

وبعد بحث قصير وجد أن (سواتهام) هي قرية صغيرة في (سافولك) تقع بين مدينتي (ساوثوالد) و (الدبورج) ، وان بها اكمة مرتفعة تشرف على الشاطئ .

اثبت لوبين هذه المعلومات في ذاكرته . وانصرف من نادى لسيارات الملكي وهو يفكر .

وما زال يجرد في السير حتى وصل الى ميدان ووترلو فوقف هناك في مكان معين ، واخرج لفافه تبغ ، واشعلها ، وراح يدخن . ولم تنقض بضع دقائق ، حتى اقبل عليه غلام في نحو الثانية عشرة من عمره ، وسأله :

- هل انت المستر ميث ؟!

فاجابه لو بين بغير تردد :

- نعم .

لقد طلب إلى بعضهم ان احمل اليك هذه الرسالة .

فتداول لو بين الرسالة وفضها ، وقرأ فيها ما يلي :

« لم اتلق رسالة - انا في الطريق نحو الشمال الشرقي - سأبعث

اليك ببرقية من من والدورق »

« روجر »

كانت الرسالة مكتوبة بالقلم الرصاص ، وحرروفها تدل على انها

كُتبت بسرعة .

اعاد لو بين قراءتها ، ثم قال للغلام :

- شكر آلك .

ووضع في يده قطعة من النقود .

« »

كان مما يؤسف له ان ينفق روجر بضعة شلنات ثمنا للبرقية التي

سيرسلها من (والدورق) لارشاد لو بين إلى المكان الذي حملت اليه

الفتاة ، فقد عرف لو بين هذا المكان قبل ان يبرح فندق (ريتز)

بيد انه عندما وضع خطته الأساسية ، لم يكن يعلم انه سيوفق

كل هذا التوفيق في زيارته للارشيدوق .

كانت خطته مخسمة ، محبوبة الأطراف ، لم يترك فيها لو بين شيئا

للظروف والمعادنات ، حتى لا تفلت منه الفتاة ، وتقع لفتنة سائلة في

يد ماريوس .

وقد دلته الرسالة التي حملها اليه الغلام على ان الحطة انفذت

بدقة ونجاح . .

كان قد اتفق مع روجر على ان يسكن هذا الأخير في سيارته

في مكان من الشارع يستطيع منه ان يربط كل ما يقع في المنزل ، حتى

إذا اخذت سونيا ، امسكنه ان يتعقب خاطفها عن كذب .

واتفق معه كذلك على ان يصطحب معه غلاما ، لكي يدفع اليه

برسالة كنتك التي بعث بها وذلك بمجرد خروجه من لندن ومعرفة

الطريق او الاتجاه الذي سلكه خاطفو سونيا . .

كذلك اوعز لو بين إلى سونيا ان تلتقي برسالة إلى روجر - إذا

استطاعت - تذكر فيها المكان الذي يقصد اليه أعوان ماريوس ،

هذا إذا نطق احد خاطفها باسم ذلك المكان على مسمع منها . .

والظاهر ان سونيا لم تستطع معرفة ذلك المكان ، او لم تتمكن

من الكتابة ، بدليل ان روجر لم يتلق منها رسالة ما .

ومهما يكن من امر فان لو بين كان مطمئنا إلى ان الفتاة لم تفلت

من يده .

شيء واحد ادهشه وحيره ، هو كيف استطاع اوائك الأشقياء

ان يختطفوا الفتاة في رابعة النهار في شارع حافل بالمسارة ورجال

البوليس ؟

• * *

وحول منتصف الساعة الثامنة ، هبط لوبين من القطار في محطة « والدورف » وقصد توا إلى مقصف « يوفيه » المحطة ، وهناك رأى روجر جالسا بين اربع زجاجات جمعة .
واحس روجر بيد توضع على كتفه . فرفع رأسه مذعورا ، ونظر إلى لوبين كما ينظر إلى ميت خرج من قبره .
هتف :

- أنت . أنت ، ماذا جاء بك إلى هنا ؟

- رأيت سيارتي أمام المحطة ، فأدركت انك هنا .

- ولكن كيف علمت انني في (والدورف) ؟ !

- ألم تبعث إلى بريقته ؟

- نعم ، ولكني بعثت بها منذ نصف ساعة فقط ، في حين ان

الرحلة من لندن إلى هنا تستغرق أربع ساعات بالقطار .

ثم انني طلبت اليك في بريقي ان تتحدث إلى تليفونيا لانهمى اليك

بعض المعلومات الهامة ولكني انتظرت هنا عبثا ، ومر الوقت بسرعة

دون ان تتصل بي تليفونيا كما طلبت اليك ، حتى خيل إلى انك لا بد

قد وقعت بين يدي المفتش تيل ، أو غيره من الأصدقاء الذين يبحثون

عنك .

فاجابه لوبين وهو يتسم :

- الواقع . انني لم أكن بحاجة إلى بريقتك أو إلى ما عندك من

الأنباء الهامة ، فقد علمت من ماريوس نفسه ان الفتاة في سوتهام .

- يا لهي ، وكيف ذلك ؟

- الأمر بسيط ، كان ماريوس يتكلم فاصغيت اليه .

- في فندق رينز ؟

فأوما لوبين برأسه علامة الإيجاب ، ثم سرد على صديقه بايجاز ما اتفق له .

واصغى اليه روجر في دهشة ثم هتف :

- هل سمعت كل هذا ؟

- نعم ، وهو يؤيد ما استنتجته منذ البداية ، ولستني لم اعلم بعد

كيف اختلطت سونيا .

فاجاب روجر :

- انني كنت ارقب الباب عن كتب كما امرتني ، فجاء ثلاثة اشخاص

احدهم يرتدي ثوب مفتش بوليس ، ومد أحدهم اصبعه إلى جرس

الباب ، ولكنه لم يندق الجرس ، ثم اخرج النسائي من جيبه اداة

وضعها في نقب الباب ، وما هي إلا لحظة حتى فتح الباب .

وما كاد الرجال الثلاثة يتوارون داخل المنزل ؛ حتى اقبلت إحدى

سيارات الأسعاف ؛ ووقفت أمام الباب ، وهبط منها رجلان يرتديان

ثياب رجال الاسعاف .

كانت المؤامرة غاية في الدقة والبراعة ، واقول لك الحق انني لم

اتمالك من الشمور بالاعجاب بذكاء هؤلاء الاشقياء.

و بعد دقيقة تين او ثلاث ، خرج الرجال من المنزل حاملين الفئاة على إحدى النقالات .

كل ذلك في وضوح النهار . تحت سمع المارة وابصارهم .

ولم تستغرق المهمة كلها اكثر من خمس دقائق . ثم وثب الجميع إلى سيارة الاسعاف .. وانطلقت بهم تسابق الريح .

و لاشك في انهم خدروا سونيا قبل ان يختطفوها والا .

فقاطعه لوبين بصوت خافت :

- يا لها من فتاة عظيمة !

فقال روجر بلهجة الحالم :

- نعم . انها فتاة عظيمة .

فنظر اليه لوبين بامان . و رأى محماني نحو إحدى زجاجات الجمرة

ونظري وجهه علامات التفكير والتأمل .

قال في رفق :

- هل وقعت في شركها ؟

فرفع روجر عينيه وسأل بدوره :

- وانت !

فلم يجبه لوبين . بل اخرج من جيبه لفافة تبغ . واشعلها . وراح

يدخن في سكون .

قال بعد لحظة :

- ان حيلة سيارة الاسعاف ، هي من الحيل الطريفة . فسجلها في

ذهنك يا روجر ، فقد تجربها في احد الأيام .

انت تعقبتهم طبعاً إلى سولتهم ؟

- نعم .

- واين وضعوا البنتاة ؟

- إنهم ذهبوا بها إلى منزل كبير قائم على أكمة بعيدة عن القرية ،

وقد مررت بسيارتي في اثرهم ، ولكنني لم اجرؤ على الوقوف .

ثم انحرفت بالسيارة ، وعدت ادراجي إلى هنا .

وبهذه المناسبة ، يجب ان اقول لك اني عرفت زبونا قديماً من

زبائنا ، بين أولئك الذين رأيتهم متكررين بزى رجال الاسعاف .

فنظر إليه لوبين متسائلاً ، وقال روجر :

- عرفت بينهم صديقنا القديم هرمان ، الذي كان ساعد ماريوس

الأيمن في حادث اختراع الأستاذ فارجان .

فقال لوبين بلطف :

- سوف يكون من دواعي سروري ان اجدد معرفتي به .

وازدرد قدحاً من الجمرة .

قال روجر بعد لحظة :

- بخيل الى ان افضل ما نستطيع عمله الآن ، هو أن نتصل

تليفوتيا بالمفتش تيل ، وترشده الى مكان سونيا .. فيلقى القبض على هؤلاء الأشقياء وهم في حالة تلبس .

- ويلقى القبض علينا كذلك ، ونحاكم .. ونتقبل الحكم كلاباطال البوائل . اليس كذلك ؟

- ليس من الضروري أن نستهدف للاعتقال ، ففي استطاعتنا ان نرقب ما يحدث عن بعد .

- وما ربوس ؟

- اننى لم اراه مع اولئك الذين اختطفوا سونيا . ولكن ليس ايسر علينا من الايقاع به .. بعد ان نجرده من اعوانه .

- كلا يا صديقى ، ليس يسكنى ان نقطع ذنب الاعمى ، ان ماريوس مجرم من اخطر طراز ، فليس يسكنى اذن ان نجبطه ومؤمراته الواحدة تلو الأخرى . لأنه - يدأب على نشاطه .. مادامت في عروقه نقطة دم واحدة .. تهيب به ان يعمل على إبادة الجنس البشرى ليملأ جيوبه بالأصفر الرنان .

المهم ان نبيد هذا الرجل ، والمهم ان نثار لصديقتنا نورمان كينت .

لأننى عدت الى انجلترا لهذا الغرض ، وان يهدأ لى بال حتى اشعر باننى انتصرت وانتقمت .

كلا يا صاحبي . إذا نحن تركناه الآن فإنه يعود الى نشاطه ومؤمراته

بعد ايام ، او بعد اسابيع او شهور ، فيصبح لزاما علينا بدورنا ان نبدأ جهودنا من جديد .

ثم ان بينى وبينه حسابا يجب تصفيته ، ومن الأفضل ان تتم التصفية باسرع ما يمكن ، وخير البر عاجله .

فهز روجر كنفية وسأل :

- اذن ماذا يجب ان نفعل الآن ؟

- لاسبيل غير ان نتطلق الي سولتهام فى الحال .

«*»

اوقف روجر السيارة فى دغل على بعد ثلاثة اميال من « سولتهام » ونال :

- ها هو المنزل .

واشار بأصبعه الى كتلة سوداء ضخمة قائمة فى الحلاء فسأل لويين :
- هل تحيط بالمنزل حديقة ؟ اتى ارى فى الظلام اشباح اشجار .

- ان المنزل قائم وسط قطعة ارض مترامية الأطراف مليئة بالعوسج والعشب ، وبين باب المنزل وشاطئ البحر طريق ملتو ينحدر على سفح الاكمة حتى يصل الى الشاطئ .

وسار الصديقان فى حذر ، حتى مرا باب المنزل .

تساءل لويين :

- ترى هل لا تزال الفتاة هنا ؟

تليفوتيا بالمفتش تيل ، وترشده لى مكان سونيا .. فيلقى القبض على هؤلاء الأشقياء وهم فى حالة تلبس .

- ويلقى القبض علينا كذلك ، ونحاكم .. ونتقبل الحكم كالأبطال البوايل . اليس كذلك ؟

- ليس من الضرورى أن نستهدف للاعتقال ، فى استطاعتنا ان نرقب ما يحدث عن بعد .

- وماريوس ؟

- انى لم اره مع اولئك الذين اختطفوا سونيا . ولكن ليس ايسر علينا من الابقاع به .. بعد ان تجرده من اعوانه .

- كلا يا صديقى ، ليس يسكنى ان تقطع ذنب الاعمى ، ان ماريوس مجرم من اخطر طراز ، فليس يسكنى اذن ان نحبطه ومؤامراته الواحدة تلو الأخرى .. لأنه سيدأب على نشاطه .. مادامت فى عروقه نقطة دم واحدة .. تهيب به ان يعمل على إبادة الجنس البشرى ليملا جيوبه بالأصفر الرنان .

المهم ان نبيد هذا الرجل ، والمهم ان نتأثر لصديقنا نورمان كينت .

لانى عدت الى انجلترا لهذا الغرض ، ولن يهدأ لى بال حتى اشعر باننى انتصرت وانتقمت .

كلا يا صاحبي ، إذا نحن تركناه الآن فإنه يعود الى نشاطه ومؤامراته

بعد ايام ، او بعد اسابيع او شهور ، فيصبح لزاما علينا بدورنا ان نبدأ جهودنا من جديد .

ثم ان بينى وبينه حسابا يجب تصفيته ، ومن الأفضل ان تم التصفية باسرع ما يمكن ، وخير البر عاجله .

فهمز روجر كنفية وسأل :

- اذن ماذا يجب ان نفعل الآن ؟

- لاسبيل غير ان نتعلق الى سولتهام فى الحال .

«*»

اوقف روجر السيارة فى دغل على بعد ثلاثة اميال من « سولتهام » ونال :

- ها هو المنزل .

واشار بأصبعه الى كتلة سوداء ضخمة قائمة فى الحلاء فسأله لوبين :

- هل تحيط بالمنزل حديقة ؟ اتى ارى فى الظلام اشباح اشجار .

- ان المنزل قائم وسط قطعة ارض مترامية الأطراف مليئة بالعوسج

والعشب ، وبين باب المنزل وشاطئ البحر طريق ملتو ينحدر الى سفح الاكمة حتى يصل الى الشاطئ .

وسار الصديقان فى حذر ، حتى مرا باب المنزل .

سأل لوبين :

- ترى هل لا تزال الفتاة هنا ؟

وحانت منه التفاتة نحو الشاطئ ، فرأى في عرس البحر كتلة سوداء
ضخمة يضيء فيها مصباحان أحدهما أحمر والآخر أخضر فهتف :
- انظر يا روجر ، ها هي الباخرة التي تكلم عنها ماريوس .
قال ذلك بصوت يرتجف من فرط الانفعال والسرور لاقترب
ساعة انضال .
اما روجر فانه حول بصره نحو البحر .. ورأى الباخرة وشعر
بقلبه يهبط بين جنبيه .

قال :

- انها تقترب يالو بين

ثم سأل بعد لحظة :

- هل تستطيع تقدير الوقت اللازم لوصولها إلى الشاطئ ؟

- ذلك يتوقف على سرعتها ، وعلى المسافة التي تفصلها عنا ، ومن

المتعذر علينا تقدير هذه السرعة وهذه المسافة ، بسبب ارتفاعنا

العظيم عن مستوى الماء ، ولكنني أرجح انها الآن على بعد ميلين

من الشاطئ .

قال ذلك ، ثم رفع رأسه ، وخيل انه ينصت ، فسأله روجر :

- ماذا سمعت ؟

- لا شيء ، وتلك هي المعضلة ، لاننا لم نر ماريوس اثناء قدومنا

والسألة الآن هي هل وصل هذا الرجل إلى المنزل قبلنا ، او انه

لا يزال في طريقه إلى هنا ؟

فهز روجر رأسه ، ولم يتكلم .

ونظر لوبين إلى البحر ، وإلى المنزل ثم وقف فجأة وقال بلمهجة

جدية :

- اصنع إلى ياروجر ، اني اريدك على ان تعود في الحال إلى لندن .

فباد صمت قصير ، ثم تكلم وجر ، فقال ببطء ، كأنه يريد

ان يفهم معنى كل كلمة .

- تريدني على ان اعود في الحال إلى لندن ؟

- نعم ، عد إلى لندن ، وابحث عن السير جون لينج ، ابحث

عنه في كل مكان ، وحى به إلى هنا ، ولو رغم الغم .

- ما هذا السخف يالو بين ؟

- ان وجود هذا الرجل ضروري جداً ياروجر .

- وسونيا ؟

- اني هنا .. و- ابقى هنا للدفاع عنها إذا لزم الحال .. فكن

مطمئناً .

يجب ان تسجل في هذه الرحلة رقماً قياسياً في السرعة .

- ان في استطاعتك ان تسرع بالسيارة اكثر مما استطعت .

- ربما ، ولكن لا تنسى ان في استطاعتى ان اناضل عدداً من

الرجال لا يستطيع انت مناظلتهم ، واستطيع ان اصيب الهدف كما

لا تستطيع انت .

اضف إلي ذلك ان رجال البوليس في لندن يبحثون عنى ويتصدوننى
فالرحلة إلى لندن اسلم لك منها لى .

هل فهمت ياروجر ، يجب ان تأتى بالسير جون ليسنج باسرع
ما يمكن .

فصمت روجر وكان صمته البغ من الكلام فى التعبير عن تردده .
وادرك لوبين معنى تردده ، وفهم انه لا يريد ان يتخلى عن الفتاة
فى هذا الوقت الدقيق ، والباخرة تقترب .

قال :

— اصغ إلى يائتى ، أتناعلم الآن أن هذه المؤامرة لم تدبر إلا لاثارة
السير جون ليسنج ، وايغار صدره ، وإعداده لأن يقبل — بدافع
الرغبة فى الانتقام — ماسوف يقترحه عليه ماريوس من إشعال النار
فى الابلقان ، وإثارة حرب ضد روسيا ، وهى الحرب التى يريد ماريوس
ليملأ جيوبه ، ويريد ماريوس الأرشيدوق رودلف بدافع من غروره وخيلائه
واعتقاده بانه يصلح لأن يكون نابوليونا عصريا .

ونجاح ماريوس يتوقف على جهل السير ليسنج بمؤامراته متلبسا .
فاذا علم ليسنج بهذه المؤامرة ، وضبط ماريوس متلبسا ، فان المؤامرة
لا تفشل فحسب ، بل أننا نكسب كذلك صديقا وعونا قويا فى شخص
السير ليسنج ، وتكون الحرب التى يشعلها السير ليسنج هى ضد ماريوس

وأمثاله . لا ضد روسيا ، فهل فهمتتى الآن ياروجر .

وضغط على كنف صديقه ، فاطرق روجر برأسه وستنظرد لوبين :
— إننى أعدك بان أرحى . المعركة الأخيرة حتى تعود وتشارك

فيها بنفسك .

أنا لم أضع خطتى بعد ، ولكنى سأجنب المعركة الحاصمة ما أمكن
حتى تعود ، فلا يكون لى وحدى نحر النضال فى سبيل الغرض الذى
نعمل له . وفى سبيل الفتاة الباسلة التى يريد كل منا أن يكون له نحر لإيقاظها .
فرجع روجر رأسه ، ونظر إلى لوبين ، والنقت عيون الرجلين
لحظة . ثم قال روجر :

— ساذهب . .

فبسط لوبين يده لصديقه . فتناولها هذا وشد عليها بحرارة .

قال لوبين :

— إذهب فى حراسة الله . ولا تنس أن الدقائق ثمينة . وأن المسألة
ليست مسألة موت أو حياة ، بل انها كذلك مسألة شرف . شرف الفتاة
التي أظن انك تحبها .

وإذا رفض السير جون ليسنج ان يأتى مختارا ، فاستخدم مسدسا
وارغمه على مرافقتك .

ساحاول ارجاء المعركة حتى تحضر فاذا استطعت فانك ستجدنى
هنا فى انتظارك ، وإذا لم استطع فساترك لك رسالة تحت حجر بجانب
هذه الشجرة ، وإذا لم اترك لك رسالة كان معنى ذلك .

- كان معنى ذلك ؟

فابتسم لوبين وقال :

- كان معنى ذلك اننى سبقتك الى العالم الآخر ، وانه يجب عليك
متى قابلت ماربوس ان تحييه برصاصه .

الفصل السادس

المعركة

شيع لوبين السيارة يبصره حتى اختفت ، ثم قفل راجعا ، وسار
في الطريق إلى المنزل .

كان يشعر بعنف التجربة التي مر بها روجر وخرج منها خروج
الرجل البديل .

شعر بالنضال العنيف الذي اضطرت به نفسه ، النضال بين الغيرة
والصدقة ، بين الحب والواجب ، واحس بالآلام التي لا بد قد عصرت
قلب الفتى عصرا ، حتى وفق اخيرا إلى القرار الذي سجل به نبل خلقه
وطيب عنصره .

« * »

ارسل لوبين بصره نحو البحر .

كانت الباخرة على بعد ميل واحد ، لا على بعد ميلين كما زعم
ولكنه كذب مامدا ، إطمئن روجر ، ويغريه بالرجيل .

ولاحظ ان الباخرة قد لزمت مكانها ثم سمع رنين السلاسل الحديدية

فادرك انها قد اقلت مرساها .

اخذ يقترب من المنزل حتى انتهى إلى اشجار الموسيقى التي تحيط
به ، وهناك ارهف اذنيه ، ولما لم يسمع حركة او حسا ، تراجع إلى
الوراء خطوة ثم رتب فوق سور الموسيقى بخفة النمر .

وهبط لوبين في الجانب الآخر من سور الموسيقى وكان هبوطه
فوق ارض مغطاة بالأعشاب الطويلة ؛ فلم تحدث قدما . صوتا سموعا .
ولسكنه مع ذلك تربت وانصت .

كان السكون تاما والظلام شاملا ، وليس ثمة بصيص من النور
يخترق - جف الليل .

راح يمشى بخفة وهدوء ، حتى دار بالمنزل من جميع نواحيه ، ثم
كن تحت إحدى لأشجار ، واخذ ينتظر .

ولم يطل انتظاره ؛ فانه ما لبث ان سمع صوت محرك .

كان الصوت صادرا من ناحية البحر ، فاطل لوبين برأسه ، ورأى
شبحا اسود صغيرا يشق عباب البحر في منتصف المسافة بين الباخرة
والشاطئ .

وفي ذات الوقت سمع صوتا آخر من ناحية المنزل ، فحول رأسه ،
ورأى رجلا آخر يخرج من المنزل وفي يده مصباح .
ثم رأى رجلا آخر فثابثا .

« * »

غاص لوبيين في مكانه بين العشب ، وراح يرقب الرجال الثلاثة وهم يسرون في الطريق المنحدرة نحو الشاطئ .

كانوا يتحدثون ، ولم يتبين لوبيين شيئاً من حديثهم حتى صرخوا بالقرب منه ، وعندئذ سمع أحدهم يقول بالإنجليزية بلهجة تحالطها الرطابة الالمانية :

- يا الشيطان . كم أود أن أنام . إنني لم أذق طعم النوم منذ يومين .

فأجاب رجل آخر بزمج من الإيطالية والإنجليزية :

- ألا تعب من كثرة النوم ؟

وقال الثالث برطانية أسبانية :

- إنه ليس بحاجة إلى النوم . بقدر ما هو بحاجة إلى الشراب .

وقد سمع لوبيين هذه العبارات . فابتسم . وغمغم :

- ألماني ، وإيطالي ، وأسباني ، هذا بديع ، لاشك أن ماريوس

يتولى زمامة عصبة أمم .

وواصل الرجال الثلاثة السير لحظة في سكون ، ثم سأل الإيطالي :

- من ذا الذي سيأتي بالفتاة ؟

فأجابه الألماني باختصار :

- سيأتي بها هرمان .

وقال الأسباني :

- إنها فتاة حسناء ، وهي تذكرني بغادة هيفاء قابلتها في مدريد

في العام الماضي .

فقال الألماني :

- يخيل إلى أنها من أرقى طبقات الهيئة الاجتماعية .

فقال الإيطالي :

- مالنا ولها ، إنها لم تخلق لأمثالنا .

وابتعد الرجال الثلاثة وهم يتحدثون ، ولكن لوبيين لم يقين كلمة

أخرى من أحاديثهم .

خطر له أن ينقض عليهم ، ولكنه عاد فلاحظ أنه قد لا يستطيع

التغلب عليهم ، فيدون كأنه لفت الأنظار إلى وجوده ، دون أن يفيد

من المجازفة شيئاً .

تلقت حوله يمنة ويسرة ، حتى إطمأن أنه ليس هناك من يتبع

الرجال الثلاثة ، ثم خرج من مكانه ، وأخذ يسير في اثر الرجال

بطء وحذر .

تخطى الأرض المغطاة بالعشب ، وبدأ ينحدر في اثر الرجال في

الطريق الصخري المؤدى إلى الشاطئ .

إضطر أن يعطى ، وأن يضاعف جذره ، حتى لا يفلت من تحت قدمه ،

حجر يلفت إليه الأنظار .

وحانت منه التفاتة نحو البحر ، فرأى الزورق البخاري يدنو من

الشاطئ ، بسرعة ، ثم لاحظ أن الرجال الثلاثة بدأوا يسرعون الخطى

ولعلمهم أرادوا الوصول إلى الشاطئ في الوقت المناسب لاستقبال

الزورق .

واسرع لو بين الخطى بدوره ، ثم اشفق ان يراه احد القادمين بالزورق
فتوارى بين الصخور الناقثة وكن هناك في الانتظار .

ووصل الزورق إلى الشاطئ ، اخيرا ، ووثب منه ثلاثة رجال تقدم
واحد منهم إلى اعضاء (عصابة الأمم) وتحدث اليهم بصوت حجيبة
هدير الأمواج .

ورأى لو بين ان حامل المصباح يلوح بمصباحه نحو المنزل ، وممع
خلفه في ذات الوقت وقع خطوات على الصخور فنحول إلى الورا ،
وابصر بشبحين قادمين من ناحية المنزل .

امعن فهما البصر حيدا ، ورأى ان احدهما ضخم الجثة مهدل الثياب
اما الثاني فكان صغير الجسم ، يمشى بخطوات رشيقة منزنة .
خفق قلبه .

عرف في الشبحين غريمه القديم هرمان ، وصديقه الجديدة سونيا .
ولا بد ان يكون الرجل الذي جاء بالزورق ، والرجال الثلاثة الذين
ذهبوا لاستقباله قد شعروا باقتراب هرمان وسونيا ، لأنهم تحركوا
في الحال ، واخذوا يرقون الصخور لمقابلة هرمان وسونيا في منتصف
الطريق .

وقد شامت المصادفات أن تتم هذه المقابلة أمام البقعة التي توارى
فيها لو بين .

وأخذ الرجال الخمسة يتحدثون فيما بينهم بصوات خافتة ، وبقيت
سونيا ديلمار وحيدة على مبعدة منهم .

ولم يكن هناك ما يحمل هرمان أو زملاءه على الخوف من فرارها
فقد كانت يداها موثقتين وراه ظهرها ، كذلك كانت قدمها
مشدودتين بحبل بطريقة تسمح لها بالسير ببطء .

كانت الفتاة هادئة رابطة الجأش لا يبدو على وجهها شيء من علامم

الخوف او الجزع .

وقد وقفت حيث تركوها ، مرفوعة الرأس شامخة بأنفها كأنها
لا تقيم وزنا لما يحدث حولها .

استمد لو بين يده إلى الأرض ، والنقط حصاة صغيرة ، وصوبها

إلى سونيا ، وقذف بها .

وقد أصابت الحصاة ساعد سونيا ، ولكن الفتاة لم تنظر حولها

على الفور ، حتى لا تلفت إليها الأنظار .

ولم يسع لو بين إلا أن يتسم ، والا أن يقرر مرة أخرى أن هذه
الفتاة المرفهة هي من اذكي الفتيات اللواتي قابلهن في حياته ، وأن
الطبيبة هيأتها للمغامرات اكثر مما هيأتها لتسكون ابنة مايو نير .
نعم ، لم تذهب دقة الموقف بلبها ، ولم تمنعها من ملاحظة اقل

الظواهر وردها إلى أصولها .

وقد شعرت بالحصاة ترتطم بساعدها .. فلم تظهر على وجهها
علامات الدهشة أو الفرح ، وادركت على الفور أن الذي قذفها بهذه
الحصاة لا بد أن يكون أحد الرجلين اللذين وضعت مصيرها بين

أيديها ، وفهمت أن هذا الرجل علي مقربة منها . وأن اية حركة لجأية
من جانبها ربما تؤدي إلى الاقتراب ، فكتمت شعورها .
على انها ما لبثت أن حولت بصرها بكل بساطة إلى الناحية التي
انقذت منها الحصاة ، وعندئذ رفع لو بين راسه بين الصخور ، فرأته
الفتاة . وخيل إليه انها ابتسمت .

« ٠ »

وتحرك القوم مرة أخرى ، وعادوا جميعا إلى الشاطئ . وهناك
نقلت سونيا إلى قارب صغير كان راسيا بالقرب من الزورق البخاري
ورافقها كل من هرمان والرجال الثلاثة الذين جاءوا بالزورق البخاري
ثم اعلم الرجال المجازيف في جانبي القارب فراح يشق الماء نحو
الباخرة .

« ٠ »

خرج لو بين من مخبئه ، ورأى كل ذلك ، وسأل نفسه ، ترى لماذا
ترك الزورق البخاري بالقرب من الشاطئ ؟
وعرف الجواب في الحال .
لابد أن الزورق ترك هناك ليستخدمه ماريوس أو الأرشيديوق
أو الاثنان معاً في الانتقال إلى الباخرة .
وإذن ماريوس والأرشيديوق لم يسبقاه إلى الباخرة !
وفرك لو بين يديه بارتياح .

شعر بان ساعة العمل قد حانت ، وبان تقل سونيا إلى الباخرة
معناه أن المعركة قد بدأت .
أخذ يثب فوق الصخور وينحدر نحو الشاطئ ، بسرعة ، ولكنه
ما لبث ان رأى ضوء المصباح يقترب ، فادرك ان الرجال الثلاثة (اعضاء
عصبة الأمم) عائدون ادراجهم إلى المنزل .
ابتعد عن الطريق وكن بين الصخور ، وادعته ان يمر به
رجالان فقط .

تساءل : وابن الثالث ؟

ولكن الوقت لم يكن يتسع للتفكير ، فترت حتى ابتعد الرجال
ثم استأنف زحفه نحو الشاطئ . وهناك رأى الرجل الثالث جالسا
بالقرب من الزورق البخاري .
واستمر لو بين يتقدم بسرعة ، وممع الرجل وقع خطواته بين
الصخور وهتف بالاطالية :

- من هذا ؟

ورأى لو بين ان الوقت مناسب للعمل ، فقد ابتعد القارب من
ناحية ، وابتعد الأسباني والألماني من ناحية أخرى ، فأذا اتفق وتمكن
الاطالي من الصباح ، فان احداً لن يسمع صيحه .
وبعد ، فقد كان لو بين مصمها على الا يترك له فرصة للصباح .
هتف الاطالي مرة أخرى :
- من هذا ؟

فأجابه لو بين بالإيطالية كذلك :

- أنا الرجل الذي يريد انتزاع روحك .

ففتح الرجل فمه ليقول شيئاً ، ولكن لو بين وثب عليه ، وعاجله
بلكمة القننه على الشاطئ ، فاقد الرشد .

نعم لو بين :

- ها نحن قد تخلصنا من مندوب إيطاليا في المعصية .

وحمل الرجل على كنفه ، ووثب به إلى الزورق البخارى .

« . »

وضع خطنه بسرعة ، وشرع في تنفيذها .

اجلس الإيطالي الفاقد الرشد امام عجلة قيادة الزورق ، ثم بحث
في الزورق حتى عثر على قطعة من الحبل فقطعها بخنجره إلى جزأين
ربط احدهما في الجانب الأيمن من عجلة القيادة وربط الآخر في
الجانب الأيسر منها .

ثم عمد لي ثيابه فانتزعها كلها .

كان يعلم ان جسده لا بد ان يتل ، ولكنه اشفق على ثيابه
الأنيقة من البلى ، ثم انه لم يكن يريد ان يقابل خه ومه في الثوب الذي
ولدت فيه امه فحزم ثيابه جميعا في قميصه ، ثم وضع الحزمة فوق رأسه ،
وشدها إلى رأسه بقطعة حبل حزمها تحت ذقنه .

وإدار محرك الزورق بغير عناء ولما بدأ الزورق يتحرك في الماء
أمسك لو بين بطرفي الحبلين اللذين شدتهما إلى عجلة القيادة . ثم
التقى بنفسه في الماء فاجتذبه الزورق وراءه . وراح يشق طريقه
نحو الباخرة .

واستمر الزورق في طريقة . . ولو بين بوجهه واسطة الحبلين
الذين ربطهما بعجلة القيادة .
كانت عملية شاقة متعبة ، اعتمد فيها لو بين على قوة يديه اللتين أمسك
بهما قطعتي الحبل .

ولكن الحبل كان خشناً ، وكان الزورق يتحرك وراءه خيطاً آخر
من الزبد ، وقد شر لو بين مراراً بالماء يكاد يخنقه ، ويحبس أنفاسه .
ووجد لو بين لزاماً عليه أن يسير بالزورق في خطوط متعرجة
ليتسنى له دائماً أن يرى الباخرة ، وقد ضاعف ذلك من عنايه ومتاعبه .
وجأه صمغ لو بين صباحاً من ناحية الشاطئ ، فادرك أن صوت
محرك الزورق لا بد قد نبه الألمانى الأسباني اللذين بقيا على الشاطئ .
صمغ الصباح ولكن ضجيج المحرك وهدير الماء كانا يملآن أذنيه
فلم يتبين معنى هذا الصباح .
وأخذ الزورق يقترب من الباخرة بسرعة ، فشرع لو بين يستعد
للخطوة التالية .

وبغثة ، دوى صوت طلق نارى من ناحية الباخرة ، فابتسم لوبين .
كان يتوقع هذا ، ولذلك اجلس المندوب الايطالى أمام عجلة
قيادة الزورق .

ووصل الزورق الى حيث توحيد الباخرة . وبدأ يمر بها .
ورأى لوبين السلسلة الحديدية التى يتدلى منها المرسى ، وأدرك أن
ساعة العمل الحاسم قد ازفت ، فترك الحبلين ، وقذف بنفسه نحو
السلسلة ، وأمسك بها ؛ ثم تربث لياتقط أنفاسه ، وليرقب ماسوف
يحدث .

رأى الزورق البخارى يمر بالباخرة ويهيم بين الأمواج .
ثم سمع طلقين ناريين من سطح الباخرة .

وشعر فى الحال بان أمامه فرصة لا يمكن ان تنكر ، لأن جميع
الأنظار كانت وقتئذ متجهة نحو الزورق البخارى ، فاذا هو صعد الى
الباخرة ، فان أحدا لن يشمر به .

امسك السلسلة الحديدية بيديه ؛ واخذ يرقاها بسرعة حتى بلغ
الى حافة الباخرة .

وفى هذه اللحظة دوى طلق نارى آخر ، فنظر لوبين نحو البحر
ورأى المندوب الايطالى واقفاً فى الزورق وهو يصبح ويلوح بيديه .
استمر الرجل يصبح مستغيثا ، ولكن ضجيج المحرك والأمواج
حجب صوته .

ودوت رصاصة اخرى ، فرفم الايطالى التمس بيديه الى صدره ،
ثم لوح بيديه فى الفضاء ، وسقط فى لجج الماء .

الفصل السابع

فاسيلوف

سمعت سونيا ديلمار العاطق النارى الأول وهى تصعد من القارب
الى الباخرة بواسطة السلم المصنوع من الحبال الذى ادلى من الباخرة
لهذا الغرض .

وكانت قبل ذلك قد سمعت دوى محرك الزورق ؛ ورأت الشبح
الجالس امام عجلة القيادة ، فلم يداخلها شك فى ان قائم الزورق هو
لوبين بعينه .

ولسكنها دهشت ، اذ خيل اليها عندما رأت لوبين على الشاطئ انه
لا ينوى ان يبدأ العمل فى الحال ، وإلا لا تنهز تلك الفرصة . وهاجم
الرجال الذين يحيطون بها ، وقام باية محاولة لانقاذها قبل ان تنقل
الى الباخرة .

فكيف اذن اضاع تلك الفرصة ثم جاء الآن لانقاذها فى زورق
يسمع دوى محركاته على بعد عدة اميال .
قلبت هذا السؤال فى ذهنها ، ولسكنها لم تحاول البحث عن
الجواب .

كانت في شغل بملاحظة كل صغيرة وكبيرة حولها فاسترعى نظرها النظام البديع الذي شهدته . كان كل واحد من رجال ماريوس يؤدي عمله في جو من الهدوء والنظام يختلف كثيراً عن كل ما قرأته في القصص والمصحف عن رجال العصابات .

صعدت دوى الرصاص مرة أخرى فإرسلت بصرها نحو البحر ، ولكنها لم تتمكن من رؤية الزورق . وعندئذ فتحت احد البحارة باب غرفة ، وادخلها واتلق الباب بالفتح .

« . »

ونفت سونيا في الغرفة حائرة مترددة ، ثم رأت النافذة الصغيرة التي بالغرفة ، وامتلأت اذناها يدوى محرك الزورق ، فأسرعت إلى النافذة واطلت منها .

وفي هذه اللحظة دوى العلق الناري الأخير ، فرأت شخصاً يتربح في الزورق ثم يستقط في الماء .

نهالت على متهرب قريب ، وانغمضت عينيها . لم تشعر بشيء من الانفعال .

لم تشعر بالحزن ، او الذعر ، او اليأس .

سوف يتسع الوقت فيما بعد لأمثال هذه المشاعر ، أما في تلك اللحظة ، فإنها لم تشعر بشيء على الإطلاق .

كانت تشعر فقط بانها تديش في جو من الخيال ، بعيد عن الحقيقة . لم تصدق انها وحيدة في تلك الباخرة ، ينتظرها مصير مجهول . وان الرجل الوحيد الذي يتعلق به أملها في النجاة قد ابتلعته امواج البحر .

لم تتحرك ، ولم تفكر في شيء ، الى ان ابتعد صوت محرك الزورق وتلاشي ، وساد حولها سكون تام . عندئذ فقط فتحت عينيها ، واجالت الطرف حولها .

وجدت نفسها في غرفة فسيحة ، ذات اساس فاخر ، ورأت حولها مقاعد ومائدة صغيرة ، وطاولة للكتابة قد تجمرت فوقها الأوراق . ودولاباً صغيراً مليئاً بالكتب .

ورأت في نهاية القاعة ستاراً ترجح لديها انه يخفي وراءه فراشاً . ولكنها لم تكلف نفسها عناء الانتقال من مكانها للتحقق من ذلك .

ثم شعرت فجأة بان الباخرة تتحرك ، ولاح لها الشاطئ ، ورأت على الشاطئ ضوء يتألق ويتلاشى ، ويتألق مرة أخرى ، ويتحرك إلى اليمين وإلى اليسار ثم يتلاشى ، فادركت ان تلك شارة منق عليها بين ربان الباخرة وشخص على الشاطئ . ولكنها لم تفهم معنى هذه الشارة . . .

« . »

انغمضت عينيها مرة أخرى . وشعرت برغبة شديدة في ان تبكي

او ان تصرخ في ذعر وفزع . ولسكنها لم تفعل شيئا من ذلك .
كانت مذهولة . خائفة القوي . ولم تفق من ذهولها وخوارها
إلا عندما فتح باب غرفتها بعد فترة من الوقت .

نظرت إلى الباب لتري من القادم فرأت رجلا طويل القامة . حسن
الهندام يرتدي ثوبا ابيض مزركشا من الذهب .

قال الرجل في ادب :

- طاب مساؤك يا آنسة ديلمار .

فصعدته الفتاة بعينها ثم سألته :

- هل انت قبطان هذه الباخرة ؟

فاطرق برأسه علامة الایجاب وقال :

- ولسكني لاضلع لي فيما اصابك او يصيبك . المستول هو السيد

الذي اعمل في خدمته .

- ومن هو هذا السيد ؟

- ليس مسموحا لي ان اذكر لك اسمه .

« . . »

وكان الرجل يتكلم بالانجليزية السليمة . وبلهجة تدل على

انه امريكي .

قالت سونيا :

- ولكن ذلك لا يعفيك من المسؤولية امام الحكومة الأمريكية ؟

- لا اظن ذلك يا آنسة .

- وستكون مسؤولا كذلك امام الحكومة الانجليزية عن جريمة
الاختطاف .

فهز كتفيه واجاب :

- انني لم اختطفك يا آنسة . وبعد فان الحكومة الانجليزية لن

تعلم من الأمر شيئا .

فصممت الفتاة لحظة ثم سألت :

- وما غرضكم من اختطافي ؟ هل تطعمون في الحصول على فدية

من ابي ا .

- الا تعلمين لغرض من اختطافك ا

- كلا .

- انني جئت خصيصا لأتحقق من ذلك . فاصفني إلى .

وجلس امام طاولة الكتابة . واشعل لفافة تبغ . ثم قال في هدوء :

- لقد جئت بك إلى هنا . ليعقد قرانك على مسيو فاسيلوف .

وسيتم هذا الزواج سواء رضيت او لم ترضي . ولدينا اكثر من شاهد

واحد سوف يشهدون على صحة هذا الزواج ، ويقررون عند الضرورة

إن الزواج تم برضاك .

لقد قيل لي انه من الضروري ان تقترني بمسيو فاسيلوف . ويا كفى

لا اعلم لماذا .

لم تدهش سونيا لهذا النبأ فانه كان يتفق مع مجموعة الاستنتاجات

التي تفتق عنها ذهن لو بين .

كل ما هناك ان شعورها بزيف موقفها وبعدمه عن الحقائق
المعوسة تضاعف ، حتى خيل اليها انها في حلم لا في يقظة .

سألت اخيراً :

— ومن هو فاسيلوف هذا ؟

— لا اعلم ، انى لم اتحدث اليه ، ولم اراه غير مرة واحدة حين
جاء الى هذه الباردة امس .

وقد لزم غرفته منذ جاء ، فلم اراه بعد ذلك .

— الا تستطيع ان تصف لي ؟

فهز القبطان كتفيه وقال :

— كل ما اذكره عنه انه طويل القامة ، يضع على عينيه عوينات

سوداء ، وله شارب قصير .

— والى اين تذهبون بي ؟

— الى لسنجراد .

— نعم ؟

— لا اعلم ، ذلك يتوقف في الغالب على مسيو فاسيلوف ، اما انا

فهتى تنتهى فى لسنجراد .

ولاحظت سونيا ان الرجل يتكلم ببساطة وقلة اكترات ، كما لو

كانت كل مهمته ان ينقل شحنة من البضائع الى احدى الموانىء .

سألت :

— الا تشعر بشيء من الفضول الى معرفة حقيقة مهمتك ؟

— ان الأجر الذى قبضته قد ابرأني من مرض الفضول .

— انك تقوم بعمل يعاقب عليه القانون ، بل يعاقب عليه

جميع القوانين .

— ان الرجل الذى استخدمنى كفيل بمحابتى وهو رجل قوى

واسع الغنى والنفوذ .

فاطرقت برأسها ثم سألت :

— ولكن هل تعلم من انا ؟

— لم يتحدثني احد عنك ، ولم يدفعنى الفضول الى الاستفسار .

— إن ابى من اغنى الناس فى امريكا ، وفى استطاعتك ان تفيد

منه اكثر مما تفيد من الرجل الذى تعمل الآن فى خدمته .

فاجاب وهو يبتسم :

— اناى ممن يؤمنون بصدق المثل القائل « عصفور فى اليد خير ممن

عشرة على الشجرة »

ثم نهض واقفا واستطرد :

— هل اقول لمسيو فاسيلوف انك على استعداد لاستقباله .

فلم تجبه ، وادخلى الرجل قامته بمزيج من الاحترام والتهكم

وانصرف .

« . »

وبقيت سونيا فى مكانها لا تبدي حراكا .

كانت كل مشاءها ترفض ان تصدق شيئاً مما يدور حولها ، ولذلك

تججرت حواسها عن كل شعور آخر ، غير الشعور بانها في حلم .
 ابت ان تصدق انها مشدودة اليدين والقدمين . في باخرة في عرض
 البحر ، ولاامل لها في النجاة ، وانها توشك ان تزوج من رجل
 سمعت اسمه للمرة الأولى منذ دقائق ، ولم تره قط في حياتها .
 ابت أن تصدق شيئاً من ذلك ، فأمثال هذه المواقف لا وجود لها
 إلا في القصص الخيالية . أو على الشاشة البيضاء . وقد سبق لها أن
 قرأت وشهدت روايات من هذا النوع . واسكنها لم تصدق قط أن
 خيالات المؤلفين يمكن أن تتحقق على مسرح الحياة .

»

وفتح الباب مرة أخرى . فرفت سونيا عينها . ورأت القادم .
 كانت تنطبق عليه جميع الأوصاف التي ذكرها القبطان . فهو طويل
 القامة . قصير الشاربين واللحية ، يضع على عينيه عوينات سوداء .
 ويرتدي معانفاً طويلاً سميكاً يغطي نصف لحيته إلى اخص قدميه .
 وقال لها الشاب كأنه يعرفها منذ سنوات :

- طاب مساءك يا سونيا .

فأجابته بهدوء واحتقار :

- انت فاسيلوف على ما اظن .

- نعم ، اسمي الكسيس فاسيلوف .

فقلت : كان لي فيما مضى كلب يدعى الكسيس ، انه اظرف اسم

يمكن اطلاقه علي . على كلب .

فقهقه الشاب ضاحكاً وقال : سيكون لك بمد دقائق زوج بهذا الاسم
 وجلس على مقعد بالقرب منها ، وعقد اصابعه حول ركبته ، وقال
 وهو يتأملها : انت جميلة ، وذلك مما يدعو إلى السرور ، لقد قالوا لي منذ
 البداية انك جميلة

كان صوته ناعباً ، حاد الذنرات . فشعرت الفنتاة بالاشمزاز .

سأته في هدوء : ومن ذا الذي قال لك ذلك .

- آه . هل يهمك ان تعرفي ! - هذا طبيعي .

- قال لي ذلك احد اصدقائي .

ثم استطرد وهو يهز رأسه :

- لا شك ان السير جون ليسنج سيأسف على انه فقدك .

وحلق في وجهها طويلاً ثم اردف :

- هل تحبينه يا سونيا . هل تحبين ليسنج .

- وهل يهمك ان تعلم ذلك !

اقرأ بقية هذه الرواية الرائعة في العدد القادم وعنوانه

مصراع جاسوس

« صراع جبار ونضال رهيب بين لوبين وتجار الحروب »

تأليف الكاتب الفرنسي الكبير

موريس بلان

إحجز نسختك من الآن